روايات عبير

٤٣٩

صراع مع الموت

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

روايات عبير

No: 439

تدور احداث هذه الرواية في قرية صغيرة تعود إليها البطلة "كاتي" بعد ان حققت نجاحا مدهشا في عملها . تتعرض هذه القرية وقت رجوعها إلى فيضان خطير ، وينتشل "جابرييل" "كاتي" من وسط اهوال هذا الفيضان ويصطحبها إلى مزرعته . يستعيد الاثنان هناك ذكريات الماضي ، ويكشف لها "جابرييل" عن مفاجاة ؛ وهي زواجه بالفتاة التي احبها اخوه "اندرا" . ما السر وراء هذه الزيجة ؟

هل "ريكي" ابنه بالفعل ؟

من ناحية اخرى فقد كانت هناك قصة حب تجمع بين "مايك" والد "كاتي" و"جراس" والدة "جابرييل" بعد موت زوجها ولكنهما لم يتزوجا بسبب "اندرا" .

ما وجه العلاقة بين زواج "جابرييل" وعدم زواج "جراس" و"مايك" ؟

هل هو "اندرا" ؟ ومن قتل والد "جابرييل" ؟

تلك هي المفاجاة التي ستعرفها - عزيزي القارئ - عند قراءتك هذه الرواية المليئة بالمغامرات الشيقة وجرائم القتل وقصص الحب المثيرة.

www.elbarmaj.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج
سوريا	٧٥ ل	الإمارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA	5$
U.K	1.5
France	15F.F
Greece	1200Drs.
CYPRUS	1.5 P.

الشخصيات الرئيسية

"كاتي مايك كوينجل" : امراة شابة في الحادية والثلاثين من عمرها تعمل صحفية . تحقق "كاتي" نجاحات مدهشة في عملها مما يجعل صيتها ذائعا في قريتها . احبت "جابرييل" منذ صغرها ولكنه هجرها .

"جابرييل فولار" : يعمل ضابطا بالبحرية ولكنه يستقيل ويهتم بشؤون مزرعة والده . يتزوج بامراة اخرى غير "كاتي" على الرغم من حبه لها .

"مايك كوينجل" : والد "كاتي" ويعمل ايضا بمجال الصحافة ويمتلك جريدة .

"جراس فولار" : والدة "جابرييل" : وفي نفس الوقت يجمع الحب بينها وبين "مايك" بعد موت زوجها .

"أندرا فولار" : اخ غير شقيق لـ"جابرييل" .

الغلاف الأمامي

دس أصابعه في شعر المراة الشابة ثم قال :

- لانك ملكي . لانك امراتي يا "كاتي" مثلما انا ملكك ورجلك.

احتضنها "جابرييل" على الرغم من انها تمتنع وتدير راسها من اليمين إلى اليسار ، وتقوست مثل الغزال الواقع في الفخ ، ولكنه تملك في النهاية من شفتيها . تذوقت "كاتي" حلاوة قبلته ثم عاطفته القوية التي جعلتهما يرتجفان رجفة فاترة .

لقد أصبحت يدا "جابرييل" مثل السجن المدهش الذي لا ترغب في الإفلات منه ...

www.elromancia.com

الفصل الأول

بدت "كاتي مايك كوينجل" - وهي تستند إلى سيارتها - كإنسان الجليد المغروس في هيئته المعروفة . كان يكفيها أن تبدل آلتها الفوتوغرافية بآلة كاتبة في ليلة مظلمة وعاصفة ....

لقد كانت ليلة مظلمة وعاصفة بالفعل . كان الليل يسدل أستاره في كل ثانية ، وغطى اللون البنفسجي والأسود الحالك السماء حيث لم يظهر إلا بعض البقع المنتشرة هنا وهناك . المطر الذي انهمر على السيارة جعل الأرض زلجة . احتفظت "كاتي" بتوازنها بمنتهى المشقة.

كانت أقل حركة خاطئة تعرضها إلى السقوط في الأمواج الهائجة . كان يجدر بها أن تلتقط صورة أو صورتين إضافيتين بآلة تصويرها الفوتوغرافية أو تسجل على جهاز تسجيلها هذا المشهد المتكرر والعام لنهاية العالم .

ولكنها وبخت نفسها لأن المرء لا يتغير بسبب تهوره أو بسبب حماقة المصور التي تعرض كل شيء إلى النهاية الوحيدة بهدف التقاط

صورة جميلة .

لأنه سواء كانت نهاية العالم أو لا فإن إعادة التقاط بعض الصور يكلفها حياتها بالتأكيد . فضلا عن أنها تكبدت مخاطر جسيمة لكي تسرق بعض الصور للفيضان . ولكن يا لها من صور!!

كانت "كاتي" تعرف أنه من الحماقة أن تتوقف لالتقاط الصور . كان من الأولى بها أن تضغط على دواسة البنزين في سيارتها لكي تنطلق نحو الربوة . لا يهم من يضع في اعتباره أن النهر يفيض بسرعة ويغمر شاطئيه بعدة أمتار من الماء . تدفق سقوط الماء على شلالات "موناش مونتينز" . لكن "كاتي" ظلت متفائلة على الرغم من كثرة وميض البرق الذي يحيط بها .

إذا نجت من هذا الموقف فإنها ستخرج منه بتحقيق صحفي مدهش خاص بالفيضان .

أنساها هذا التفاؤل الخطر الذي يحدق بها . لا يستطيع أي شخص أن يقدم مثل هذه الصور التي التقطتها ولا يمكنه أيضا أن يروي كيف اهتزت الأرض - عندما انهار الجسر - تحت تأثير قوة الفيضان ولا أن يحكي كيف اقتلعت قوة التيار المائي الأشجار والصخور واختلط الحابل بالنابل .

أخيرا . ربما يوجد شخص يستطيع ذلك . إنه والدها "مايك كوينجل" الذي ينبغي أن يروي في مذكراته سخط العاصفة والرياح العاتية . كان قد اشترى جريدة محلية أسبوعية بالية إلى حد ما قبل ميلاد "كاتي" . كان "مايك" يجيد الكتابة مثل معاونيه المختارين بدقة . تتخيله "كاتي" الآن وهو منكب على الورق الأبيض.

اخترق البرق الشديد ظلمة الليل بشكل موسع تبعه مباشرة صوت رعد قوي . لم تسقط الصاعقة بعيدا . أدركت "كاتي" أنها تركت أثرا واضحا على السطح المعدني للسيارة . نفرت "كاتي" من فكرة الغطس

في هذا النهر المقزز المحمل بالطين الموحل الذي لم يكن قبل ساعتين من الآن إلا نهرا رائعا .

كانت "كاتي" تسميه دائما "نهرها" . لقد ولدت في هذا الوادي ؛ واديها المحبب ! ماذا تبقى منه بعد هذه الكارثة ؟! لن يجد كثير من الناس أي مأوى لهم !

وربما يحدث ما هو أسوأ من هذا .

كادت السيارة أن تنقلب . إن قوة التيار تزداد باستمرار . تمددت "كاتي" المذعورة على سقف السيارة وتشبثت بزجاج نافذة السيارة اليمنى التي ظلت مفتوحة لحسن الحظ . لم يبق سوى بضعة سنتيمترات حتى يغطي الماء وجهها .

أبدت المراة الشابة استياءها . يا له من فزع تشعر به لأن تكون نهايتها في هذه العجينة الموحلة التي تبتلع كافة الأشياء والحيوانات في جوفها ! لقد رأت "كاتي" منذ قليل أنها تبتلع إبلا وفهودا وشيئا بنيا ضخما ، لابد أنه دب .

وعلى الرغم من تهديد الصاعقة لها إلا أن "كاتي" شعرت بأنها في مأمن وهي متشبثة بسطح السيارة .

غاصت السيارة فجأة في سنتيمترات من الماء . كاد النهر الساخط يبتلع "كاتي" . بعد أن تمايلت السيارة يمينا ثم يسارا استقرت في مكانها كما كانت . لمحت "كاتي" شجرة ضخمة يبدو أن الرمث يتجه نحوها . أيمكنها أن تمسك أحد فروعها لدى مرورها ؟ نعم ولكن إذا حالفها الحظ !

اخترق شلال متواصل من البرق حاجز السماء البنفسجية .

لقد كانت الصاعقة تقترب . أدركت "كاتي" أن الشجرة ليست فكرة جيدة . أغلقت عينيها وتشبثت بأعلى باب السيارة الملتصق بالسطح لتتمسك بهيكله وتتحد معه .

تزايدت الصواعق في الجبل بشكل خارج عن المألوف .

همست المراة الشابة لنفسها : "ولكنك ضعيفة البنية يا صغيرتي، قليل من الجراة . تبا للشيطان !" .

أرغمت نفسها حينذاك على فتح عينيها . فإذا كان لابد أن ينتهي بها الأمر هكذا ، فمن الأحرى أن تموت بشجاعة وعيناها مفتوحتان ، وليست مثل هذه الحيوانات المذعورة التي تطوف من حولها . يتم اقتياد الحيوانات إلى المرعى بلا أي هوادة . في هذا الوادي تعود الحيوانات مع غروب الشمس . ولكن الليل ألقى بأستاره في هذا المساء مبكرا على غير عادته حيث فاجأ الفلاحين!

جلست "كاتي" القرفصاء في منتصف الرمث المرتجل وهي مقتنعة تماما بأن نهايتها قد أوشكت . قامت بأداء تمرين "يوجا" بسيط وهي مرتدية بذلتها البرتقالية الرياضية منتظرة الموت بكل هدوء . كادت موجة رياح ساخطة أن تفقدها اتزانها الهش . ودوى من فوقها أزيز شديد في نفس اللحظة . كانت تظن بداخلها أن ذلك يشبه جيدا نهاية العالم . نهاية الوادي .

عزمت على أن ترفع عينيها . تسلط شعاع مضيء على وجهها في وسط هذه السحابة الداكنة . هناك مشهد واضح على الأقل : الأزيز ، الصوت الخافت يعلو ، يزداد الضوء المركز عليها قوة . أدركت "كاتي" وسط موجات البرق أنها طائرة هليوكوبتر مازالت مرتفعة في السماء ولكنها تنزل بهدوء في اتجاهها . توقفت الطائرة على بعد يقرب من عشرات الأمتار بأعلى السيارة . ظهر ملاك وسط هذه الظلمة . ملاك عصري يتدلى من حبل برتقالي . هبط الرجل على الرمث بركبتيه . أمسك المراة الشابة من معصمها ليمنعها من الانزلاق في نهر الطين .

اعتقدت "كاتي" أنها ضحية هلوسة . سألت نفسها : إذا لم تكن قد لقيت حتفها بعد ؟ نعم ، ليس بعد . إنه ملاك بالفعل . إنه ذلك الرجل

www.elromancia.com

الذي كانت تلقبه دائما بـ"ملاكي" !

- "جابرييل" ؟!

تاه صوتها وسط الضجة المثارة من حولها .

صرخت مرة أخرى :

- "جابرييل فولار" ؟!

عبرت "كاتي" عن نشوتها وفرحتها ودهشتها الكبيرة .

اجتاحها عدد لا يحصى من الأحاسيس السعيدة . لم يبادلها "جابرييل" نفس انطباعها .

- "كاتي" ! بحق السماء ! من بين كل الأماكن الخطرة اخترت بالفعل أسوأها في هذا المساء !

مرر "جابرييل" الحبل حول ردفيها ثم أدخل ساقيها حوله وربطهما بعد ذلك بالحبل الذي يتدلى هو نفسه منه . لاحظت "كاتي" القتامة على وجهه ونظراته العاصفة مثل الجو المحيط بها .

ظل "جابرييل" مركزا في عمله . ضبط الحقيبة المحتوية على آلة التصوير والمسجل على ظهر صديقته . تمسكت "كاتي" بكتفيه . جذبها "جابرييل" إليه بشدة ثم أعطى إشارة إلى قائد الطائرة .

هل كان "جابرييل" عائدا إذن إلى البلدة ؟ هذا يبدو مستحيلا . ولكن "كاتي" كانت قد عادت قبله . لم تكن زياراتها التي تقوم بها في الجبال كثيرة ولكن المرأة الشابة دهشت لعدم مقابلتها "جابرييل" بالقرية ولو مرة واحدة . ربما قد وصل هو أيضا قريبا؟ منذ رحيلهما من الوادي لم يلتقيا إلا مرة واحدة منذ أربع سنوات ولكن على الجانب الآخر من العالم ، على الجانب الآخر من المحيط الهادي الكبير .

بدأ الصعود . أمسكت "كاتي" بكل قواها بمنقذها . هبوب الرياح جعل العملية عصيبة . أمسك "جابرييل" بـ"كاتي" هو الآخر لأنه يخشى أن يفقدها في الزوبعة . تشابكت سيقانهما بشكل تلقائي . هذا

التشابك الودي إلى حد ما جعل "كاتي" غير مرتاحة تماما . ولكن ، لا . ارتكز خدها على صدر "جابرييل" . رفعت عينيها نحوه . لقد اختفى وجه الرجل في الظلام ولكن "كاتي" أدركت أنه يراها . ابتسمت له ابتسامة عرفان بالجميل . لم تكن تعرف أبداً إذا ما كان سيرد عليها ، وفي المقابل ضغط بيده على رقبة المرأة الشابة ليشجعها .

جذبهما مساعد الطيار إلى أعلى طائرة الهليوكوبتر وأغلق بابها المفتوح قبل أن يلحق بالطيار في كبينته التي يحميها جدار من الزجاج.

فك "جابرييل" الحبل الملتف حول جسده ثم ساعد "كاتي" في التخلص من حبلها أيضا . جلس الاثنان في الأماكن المخصصة للمسافرين بطول جدار الطائرة . أشار إليهما مساعد الطيار بربط حزام الأمان بقوة بقدر المستطاع . دارت الهليوكوبتر بعد ذلك بقوة . تفرس "جابرييل" و"كاتي" كل منهما في الآخر في الكبينة . كانت توجد جلبة صاخبة من حولهما يصعب عليهما خلالها تبادل أطراف الحديث . إن هذا حسن بالفعل لأن التقاءهما مرة أخرى حبس صوتهما . مال "جابرييل" نحو نافذة الطائرة وتحدث مع مركز القيادة وصرح بشيء إلى قائد الطائرة . ثم عاد وجلس بمواجهة "كاتي" .

من فرط سعادته لرؤيتها على قيد الحياة أخذها "جابرييل" بين ذراعيه وأبدى سعادته عندما لمسها بعد هذه المأساة . ولكن كانت لديه الرغبة أيضا في أن يخنقها بسبب حماقتها . لم يشعر بمثل هذا الخوف على شخص آخر مثلما شعر نحوها .

جففت "كاتي" شعرها بالمنشفة وعدلت من هندامها قليلا ، وعلى الجانب الآخر من الطائرة خفض "جابرييل" رأسه . وكشفت عيناه الرماديتان المنقوطتان ببريق يشبه الذهب عن غضب جم دفين . صرخ فيها ببعض الكلمات التي لم تلحظ منها إلا كلمتين : العودة والمنزل .

www.elromancia.com

هاتان الكلمتان جعلتا قلبها يشعر بالدفء . نعم ، كم يكون جميلا أن تعود إلى منزلها حيث يوجد والدها "مايك" ! إنه أيضا سيدهش وستسعد "كاتي" باستقباله .

هبطت الطائرة الهليوكوبتر . فك "جابرييل" حزامه ثم حزام "كاتي" .

عبر "جابرييل" عن امتنانه لقائد الطائرة وربت كتفه بكل مودة قبل أن يفتح الباب . ونزل من الطائرة أولا ثم ساعد "كاتي" على النزول أيضا ، ثم اغلق الباب . جرى "جابرييل" و "كاتي" -وراساهما منخفضان - حوالي عشرة أمتار بسبب مروحة الطائرة الدائرة . ثم اقلعت الطائرة في الحال .

رفعت "كاتي" رأسها ونظرت من حولها قبل أن تسأل وهي تعيد وضع حقيبتها على كتفها :

- لماذا اصطحبتني إلى هنا ؟

كان الاثنان على بعد أقل من مائة متر من مزرعة "فولار" الشاسعة . التصق حذاء كل منهما بالعشب الموحل . أخذ "جابرييل" "كاتي" من ذراعها ليقتادها إلى المنزل . إنه لم يفكر أبداً في المشكلة . كانت "كاتي" عائدة إلى الوادي . . بدا له شيئا طبيعيا أن يستضيفها عنده . نعم ، عنده ، ستشعر كأنها في بيتها . نعم ، عنده وليس في مكان آخر . قال بلا تمهل :

- لأن مراكز الإيواء تغص بالناس !

أرشدها نحو المبنى الفخم المؤسس من الخشب والحجر الأبيض.

- إن الوادي كله غارق في الماء الآن .

- ولكن ، والدي ...

- سيقيم - مثل أي رجل حكيم - في المباني الشاهقة الآمنة . لا يوجد ما يدعو إلى الخوف بخصوص هذا الشأن .

كان "جابرييل" يضغط بشدة على ذراع "كاتي" . كان يمشي بخطوات

واسعة . كادت المرأة الشابة تسقط عدة مرات .

كانت تجد صعوبة في مواصلة السير معه .

خطر ببالها أن مزاج "جابرييل" متعكر صفوه وقاتم أيضا مثلما كان في مقابلتهما الأخيرة منذ أربع سنوات . لقد كان آتيا للبحث عنها في كبينة السفينة عند طلوع الفجر مثلما يمسكها اليوم من ذراعها ولكن بخشونة أقل . اصطحبها إلى الرصيف ثم صعد إلى السفينة .

تركها أمام باب الدخول وأخرج من جيبه سلسلة مفاتيح وفتح . غامرت "كاتي" بقولها :

- إذا لم يكن يضايقك فأنا أفضل أن أكون مع والدي . لن أشعر بالأمان إلا بجانبه .

- لا أعرف أين هو . إن ما قلته لم يكن إلا افتراضا من بين افتراضات أخرى كثيرة .

دعاها "جابرييل" إلى الدخول قبل أن يغلق الباب . هدأت الزوبعة وتوقف المطر . أضاء النور بعد ذلك . قطبت "كاتي" جبينها بأناقة . كانت عيناها قد اعتادتا على الظلام منذ ساعات. تخلصت من حقيبتها الثقيلة على ظهرها ووضعتها على منضدة في منتصف الحجرة .

قال لها "جابرييل" وهو يمسك بكتفيها :

- والآن أحب أن تفسري لي ما كنت تفعلينه بسفح الجبل . هذا إذا لم أكن أطالبك بأشياء كثيرة .

ردت "كاتي" برقة :

- مساء الخير يا "جابرييل" ! يسعدني أن أراك مرة أخرى .

- "كاتي" كل الطرق مغلقة منذ ساعات . لابد أنك كنت تفتحين سداً . من تظنين نفسك ؟! المرأة الخارقة ؟!

بدأت "كاتي" تدندن وهي تستعيد مشاعرها غير أن حالة "جابرييل" المسكين كانت على خلاف حالتها .

www.elromancia.com

ردت بطريقة تشبه طريقة "مارلين مونرو" :

- لم ار اي سدود ، ولا اي سد صغير ، اقسم لك !

- كان يجدر بك على الاقل أن تصعدي باعلى الربوة حيث كان امامك الوقت الكافي لهذا .

لم تكلف "كاتي" نفسها مشقة الرد . جذبها "جابرييل" ، تقابل جذعه مع صدر "كاتي" . بدا الاثنان يتنفسان بسرعة . حدث شيء كهربائي بين الاثنين . شعرت "كاتي" بالرغبة في الضحك والبكاء في نفس الوقت، وتوجيه السباب إليه ولكنها اكتفت بالتحرر منه وذهبت للجلوس في الركن الأخر من الحجرة .

قالت له دون أن تخفي الاضطراب الغريب الذي قراته ايضا في عيني "جابرييل" :

- امنعك من أن تلمسني .

على الرغم من تحذيرها ، اقترب منها ليضع يديه على كتفي صديقته.

- ولكن بدا انك سعيدة بالاقتراب مني في الوقت الذي اتيت فيه للبحث عنك في وسط الفيضان .

- تخيل انني كنت ساسعد بالاقتراب من اي شخص اخر !

- "كاتي" ، اتعرفين انها معجزة اننا عثرنا عليك . لقد كنا قد قررنا الرجوع . لقد قرر "چيم" - دون أن يعرف السبب - الذهاب لرؤية إذا كان الجسر بحالة جيدة . ولكن الجسر قد انهار . فقمنا بنصف جولة لإخبار العمدة وفي هذه اللحظة نفسها أطلق قائد الطائرة صرخة .

اغلق "جابرييل" عينيه لحظة . ثم قال :

- سالت نفسي : إذا كنت تستعيدين قميصك الرياضي الأحمر من وسط هذا الفيضان ؟ تبا لك يا "كاتي" ، الن تخبريني مع ذلك انه لديك من الأسباب المقنعة لتواجدك هناك ؟!

- بلى ، كنت أعمل .

- ماذا كنت تفعلين ؟

وضعت "كاتي" يديها بكبرياء في خصريها .

- نعم يا "جابرييل" ، كنت أعمل . تصور أن هذا حدث كما لو كنت أكتسب قوتي !

بدا "جابرييل" مجنونا من شدة غضبه وقال دهشا :

- عملك ! الم تقدري حجم الخطر ؟ لقد تجمد الدم في عروقي لمجرد أن خطرت ببالي فكرة موتك في هذه اللحظة .

- ربما ولكنني مازلت حية ! والتقطت صورا مدهشة للفيضان . أما بخصوص الخطر فإنني كنت على يقين منه بالتاكيد ...

كانت "كاتي" متحمسة جدا بسبب فكرة النجاح الذي ينتظرها . لوحت بالة تصويرها ومسجلها بكل فخر .

- كل الناس سيفكرون في نهاية العالم ، انا متاكدة من ذلك يا "جابرييل" . مع كل هذه السُمرة وهذه القتامة واللون البنفسجي! وهذا النهر الموحل الأسود الذي يجرف الحيوانات إلى شلال الموت. يا إلهي، لن انسى ابدا الخوف الذي رايته في أعينها . الحيوانات المفترسة يا "جابرييل" تجاهلتني أمام هذا الخطر العظيم . لقد صورت كل شيء ! لقد التقطت صورة للجسر وهو على وشك الانهيار ! وكذلك تدفق الماء الشديد الناتج عنه ، وبدات الأرض تهتز . لقد صورت كل شيء ! كل شيء ، لقد اخبرتك بهذا! والأصوات والضجيج يا "جابرييل" أريد منك أن تسمع هذا وتراه ! إنه عظيم . إنه فظيع ...

لوحت "كاتي" بجهاز تسجيلها إشارة منها إلى انتصارها وكانت عيناها تلمعان وتلاشى كل أثر لتعبها كما تلاشى خوفها .

قالت وهي تشير إلى جهاز التسجيل :

- هنا يوجد كل شيء ، الأفكار والأحاسيس . ليت هناك وسيلة

لتسجيل الاهتزازات التي شعرت بها تحت السيارة في اللحظة التي انهار فيها الجسر.

تنهد "جابرييل" كانه يصلي :

- يا إلهي !

جلس وقد عقد ساعديه امام عدة "كاتي" كما لو كان لديه الرغبة في تحطيمها إلى قطع كثيرة متناثرة .

- اتريدين قول : إنك كنت على هذا الجسر اللعين في اللحظة التي انهار فيها؟

- لا . لقد بدات اشعر باهتزازه عندما كنت اقود السيارة عليه .

وقلت لنفسي : إنه مازال امامي متسع من الوقت وتوقفت لألتقط بعض الصور . يا له من منظر يا "جابرييل" ! الطبيعة تغلبت على الإنسان !

- سيقولون : إنك فخور بنفسك .

- هذا صحيح ! ساحظى بمقالة ذهبية يا "جابرييل" . بل بالعديد من المقالات الذهبية ، وربما غلاف "ناشيونال يوجرافيك". سترى انه مع قليل من الحظ سيطلب متحف "ارت مودرن" بـ"نيويورك" شراء صورة او صورتين مني ، وهذا ما يحلم به ملايين الزائرين .

- هل فكرت في متحف "ارت مودرن" يا "كاتي" عندما بدا الماء يتساقط على سطح السيارة في نفس اللحظة ؟

- لا . بالتاكيد . انا على اية حال شغوف بعملي .

لم يجد "جابرييل" جدوى من الرد .

- لا فرق عندي بين ان امتدح او انتقد في عشقي لمهنتي . انا فخور بما سافعله ، وهذا هو الاهم بالنسبة لي !

- نعم ، انا اعرف .

- ثم إنك تهتم بماذا ؟ العمل يعني الكثير بالنسبة لك ايضا .

إذا حدث وسرت في اتجاه فينبغي ان تسير في الاتجاه الآخر يا

عزيزي ! لن يكون الإنسان بمامن وهو ممسك بحبل في الهواء يتدلى من الهليوكوبتر !

- يجدر بك في هذا المساء ان تركعي وتشكري الله لأن الطيار راك بعينيه ، لأن جثتك كانت ستنجرف إلى المحيط الهادي بدونه .

ادركت "كاتي" انه يسعد بهذه المعركة التي كانت ضرورية إلى حد ما بالنسبة له ولها ايضا . إنها وسيلة للعثور على "كاتي" اخرى .

قال لها منتقدا :

- ربما كان مصيرك مثل مصير الحيوانات !

قالت "كاتي" وهي غاضبة :

- امنعك من ان تشبهني بالحيوان يا "جابرييل" ! لم اكن اسعى لإلقاء نفسي في فم الذئب . لقد سقطت في الفخ . وبالتاكيد لقد استفدت منه. انا لا أحب الفشل . ولكنني لست حيوانا !

ابتسم "جابرييل" اخيرا :

- حسنا ، حسنا . لقد نسيت ان هذه الكلمة تثير غضبك . لا نقول إذن : إنك حيوان ولنقل على سبيل المثال : إنك غبية او بلهاء . إنك مجنونة لانك تريدين شرح انطباعاتك من خلال جهاز التسجيل عندما يوشك الجسر الذي تقفين عليه على الانهيار !

- حسنا ، هذا يكفي الآن يا "جابرييل" . لقد كنا نتسلى ولكنني اعتقد ان هذا يكفي .

هدأ غضب "جابرييل" :

- حسنا يا "كاتي" . هناك وسائل اخرى لكي نلتقي معا ... وضع يده في شعر صديقته الأسمر القصير المضفر بشكل يناسب فتاة متحررة مما زاد النعومة التي تنبعث من شخصيتها .

- لم اكن اعرف انك تبحث عني يا "جابرييل" .

- لا أحب نغمة صوتك الباردة والتهكمية هذه .

- إنك تحصل على ما تستحقه .

- سامحيني ، لقد كنت خائفا جداً يا "كاتي" . وعندما يخاف "جابرييل" فإنه يصبح كالمجنون !

- نعم أتذكر هذه الحكمة التي ابتكرتها . قبلت اعتذارك ، وأعترف بانني كنت على وشك الموت في هذا المساء . هل أنت مسرور هكذا ؟

- هيا ، لنغير ملابسنا ، وإلا فسنصاب بالسعال !

- ولكن ليس لدي ملابس أرتديها ! انتظر .

وضعت "كاتي" بعناية آلات تصويرها ومسجلها والأفلام المصورة على المنضدة . ثم قلبت محتويات حقيبتها المغلقة على قماش مشمع واق من البلل . أحصى "جابرييل" كل محتوياتها : صابونة بريطانية ، وفرشاة أسنان ، ومعجون وقلم شفاه أحمر قرمزي . أخذ كرسيا وجلس بالقرب منها ممددا ساقيه .

- أسررت إلي في ليلة منذ أربعة أعوام أنك لا تسافرين إلا بالأشياء التي تحتاجينها فقط وأنا أرى أنك قلت الحقيقة الصارمة.

حبست "كاتي" تنهيدة . نعم ، ليلة لا تنسى بالنسبة لها وبالنسبة له ايضا . لكن "جابرييل" فضل عمله ؛ عمله كملاح بحري أولا في الأسطول الأمريكي ثم كضابط على السفن البحرية .

- انا هنا لرؤية أبي . إنه شيء من الحدس . كنت أخشى أن يكون مريضا أو تكونه لديه مشاكل في الجريدة .

فتح "جابرييل" عينيه الواسعتين . اضطربت "كاتي" حينذاك .

- "جابرييل" ؟ ماذا حدث ؟ لقد تغير وجهك . هل يعاني والدي أي مضايقات ؟ هل تعرف أي شيء ؟

- لا ، كل شيء على خير ما يرام ، اطمئني .

- أخبرني . لدي الحق في أن أعرف .

- لا أعرف شيئا .

قال "جابرييل" كاذبا ولكن برباطة جاش :

- لم أره قط .

- أوه ، بل إنك تعرف شيئا ! "جابرييل" ، أرجوك ! نحن صديقان منذ مدة طويلة . . ولن تكذب علي بعد كل هذه المدة .

صديقان ؟ عندما كان الاثنان معا في الوادي كان كل منهما مجنونا بالآخر ولكن "كاتي" كانت شابة و"جابرييل" كان يحلم بجولات في المحيطات البعيدة . لم يقضيا معا إلا ليلة واحدة . ليلة كاملة . ليلة ساحرة .

أمسك "جابرييل" يد صديقته . كان قلبه يدق في صدره دقات كبش . لم يستطع التحكم فيها . كانت "كاتي" تروق له دائما . نهض واقفا وهو يكاد يقفز ثم ابتعد عنها .

قالت المرأة الشابة منزعجة :

- "جابرييل" ؟ ماذا حدث ؟ لقد حدث له مكروه ، أليس كذلك ؟

شحب وجه "كاتي" بشكل فظيع :

- إنه ... إنه لم ...

اقتربت منه بالقرب من المدفأة . أمسكها "جابرييل" من كتفيها بكل رقة ، وقال حاسما الموقف :

- لا .

وهزها برفق ليوقظها من حلمها الكئيب .

- "مايك" بصحة جيدة مثلك ومثلي ، وبالأخص مثلي لأنك على ما أرى نحيفة بعض الشيء . هل أنت مريضة ؟

- لا . ولكنني عملت كثيرا في الشهور الأخيرة .

على الرغم من نحافتها إلا أن "كاتي" راقت له عن ذي قبل .

إنها كانت تروق له دائما ، وستروق له دائما .

- أوه ، يا "كاتي" ! في المرة الأخيرة التي كنت اتكلم فيها عنك عرفت انك في امريكا الجنوبية .

- لقد عدت منذ ما يقرب من شهر .

وساد الصمت .

- وانا يا "جابرييل" في المرة الأخيرة التي رايتك فيها كنت وسيما جداً في زيك الأبيض المزين بشرائط ضابط بحري في وسط البحر !

- هيا ، تعالي . ينبغي حقيقة ان نغير ملابسنا .

خلع "جابرييل" قميصه وجفف شعره به . تاملته "كاتي" حينذاك.

قالت لنفسها : "نعم ، لديه كتفان عريضتان وبارزتان ذواتا لون داكن، كما أن بطنه وخصره المتناسق يناسبان الضابط البحري الذي لا يتوقف ابداً عن التدريب .

تتذكر "كاتي" جيداً نتيجة هذه العضلات ! ويشهد خداها الورديان على هذا .

قطع "جابرييل" تفكيرها :

- هيا ، ينبغي أن ناخذ حماما .

الفصل الثاني

مدت "كاتي" اصابع قدميها في الماء الساخن المغطى بطبقة سميكة من الرغاوى العطرية ثم اغلقت عينيها . دخل "جابرييل" بعد لحظة إلى الحجرة ليغلق صنبور الماء الساخن . كان المغطس على وشك أن يفيض بين لحظة واخرى .

- أوه ، لا تنامي يا "كاتي" ! الا تعتقدين ان فيضانا واحداً في اليوم يكفي؟

ارتدى "جابرييل" بنطلون "چينز" و"تي شيرت" رماديا اظهر كتفيه العريضتين . وجلس على حافة المغطس .

داعبت "كاتي" بإصبعها جرحا بسيطا تحت عين "جابرييل" اليسرى . إنه بسبب اخيه "اندرا" . ذلك الأخ الذي جعل حياته شاقة دائما . رجل قاس إلى حد ما .

- هل مازلت تتعارك مع أخيك الأكبر ؟ ام توصلتما إلى السلام بينكما بعد كل هذه السنين ؟

www.elromancia.com

ادرك "جابرييل" أن "مايك كوينجل" لم يخبر ابنته بالمأساة التي حدثت لآل "فولار" . شعر ببعض الضيق في صدره . كان يفضل أيضا أن يتأمل الأنامل الوردية الساحرة التي تبدو - من خلال الرغاوى - مثل جبال الجليد الصغيرة المغطاة بقطع الجليد .

صرح "جابرييل" :

- "أندرا" لا يعيش هنا كثيرا .

إذا كانت "كاتي" تقرأ الجرائد فقط ! تساءل "جابرييل" ؛ ولكن لا . و"جابرييل" ليست لديه الشجاعة للغوص من أجلها في ذكريات فظيعة قضت تقريبا على شرف آل "فولار" في القرية . ربما يشرح لها الأمر في يوم آخر .

قالت المرأة الشابة وهي دهشة :

- لا يعيش كثيرا هنا . كيف هذا ؟ من يرعى المزرعة إذن ؟

- أنا . أنا اقطن بهذا المنزل الآن يا "كاتي" . والدتي لا تخرج منه بمفردها . لقد عدت إلى هنا منذ سنوات .

ألقت "كاتي" الماء على وجهها لتخفي اضطرابها . وشكلاً آخر من الفرحة ؛ الأمل .

- ولكن ... لماذا يا "جابرييل" ؟ إنك دائما تكره نمط الحياة في هذه الجبال .

- لقد تزوجت ، ولدي ابن .

أحست "كاتي" في الحال بأن أزمة الكبد قد تداهمها .

طعم مرير ملأ فمها ودار رأسها . لقد خدعها . كانت تريد أن تصرخ. كيف استطاع أن يخبرها بمثل هذا الشيء هكذا بمنتهى السهولة ؟ كيف استطاع أن يظل جالسا هكذا على حافة مغطس الشقاء ؟

كانت لدى "كاتي" الرغبة في دس الصابون في فمه . كيف استطاع أن يفعل بها هكذا ؟ إنها تنتظره منذ فترة طويلة ! إنها دائما كانت تأمل

أن يعود إليها في يوم من الأيام عندما يكون مستعدا للعيش معها . ألم يقسم لها بأنه إذا تزوج في يوم من الأيام فإن زوجته ستكون "كاتي مايك كوينجل" ؟

بالتأكيد لم يطلب منها أبداً أن تنتظره . أبداً . بل لقد اقترح عليها عكس ذلك ونصحها بالبحث عن الرجل القادر على أن يحتفظ لها بشبابها . لكن هذه النصيحة حطمت قلبها لأن روح المغامر الكبير تكمن بداخله . تلك الروح التي فضلت الحرية على الحب .

أوه ! كيف أمكنها أن تنخدع طوال هذه الفترة ؟ لقد ضيعت أحلى سنوات عمرها . وها هي الآن تبلغ الحادية والثلاثين وتعيش بمفردها.

أرادت "كاتي" أن تختفي وتوصد الباب وترحل دون أن تلقي أي نظرة ولكنها محاصرة في هذا الحمام تحت الرغاوى التي تنفر منها ! فقط تبقى بطاقة عدم الاكتراث .

- أنت متزوج ؟ أوه يا "جابرييل" أتريدني أن أرحل ؟

- ولكنها الحقيقة يا "كاتي" .

- لا ؟ أحك لي إذن ! هل أعرفها ؟ هل هي بنت من القرية ؟

هز "جابرييل" رأسه . لم تؤد "كاتي" دورها كما ينبغي . لم يكن وجهها إلا قناعا . بدت المعاناة واضحة في عينيها الخضراوين الداكنتين . المعاناة التي سيشعر بها إذا أخبرته هي أيضا بخبر عصيب .

تصنعت "كاتي" ابتسامة ساخرة :

- أخبرني ! أين زوجتك وولدك ؟ وكم عمر ابنك ؟

كان هذا المشهد غريبا لما قد أحبه فيها . ومن ناحية أخرى أبدى إعجابه بشجاعتها .

- زوجتي أو بالأحرى زوجتي السابقة لا تقيم هنا . أما ابني فلقد

www.elromancia.com

عهدت به إلى أصدقاء في فترات عمليات الإنقاذ .

زوجة سابقة ؟ رفعت "كاتي" رأسها . أما أن يتزوج "جابرييل" فهذا أمر لا يعقل ولكن أن يطلق في أعقاب ذلك فهذا ما لم تستطع "كاتي" أن تدركه بسهولة . "جابرييل" ليس بالرجل الذي يرتبط بامرأة بلا تفكير. ومن هنا استنتجت أن زوجته قد هجرته .

أسدلت "كاتي" جفنيها بتأثر . كل هذه القصة أحدثت ألما بقلبها.

- واحتفظت بحضانة الطفل ؟ لابد أنه يذهب لرؤية أمه من وقت لآخر ؟

- لا ، "ريكي" يعيش هنا دائما .

- سأرى .

لم تكن "كاتي" ترى أي شيء من حولها ولكنها كانت ترفض أن تعرف المزيد . لم تكن تريد أن تسمعه يتحدث عن هذا الزواج أو هذا الانفصال ولا أسبابه . إنها تريد أن تمحو من ذاكرتها كل ما سيخبرها به حيث إنها تشعر بالحزن والقتامة الآن .

لقد انقذ "جابرييل" حياتها إذن حتى يجعلها تتجرع بعد ذلك هذا السم ! كانت من داخلها ترغب في الموت دون أي شخص حتى هو نفسه .

شعر "جابرييل" أنها في حاجة إلى أن تبقى بمفردها .

- عليك أن ترتدي هذا المئزر الأحمر الكبير الموجود خلف الباب. لا تتسكعي كثيرا . اتفقنا ؟ سأسخن حساء والدتي .

قالت "كاتي" بصوت واضح :

- لن أكون طويلة عندما أرتديه .

عندما أصبحت بمفردها وضعت "كاتي" يدها على شفتيها . إنه لا يضع في اعتباره أن حساء "جراس فولار" جعلها تشعر بالغثيان من قبل !

غاصت "كاتي" بجسمها في الماء الفاتر الذي جمد قلبها . وانفجر حزنها . ثم بدأت تبكي في صمت . أثارت أفكار وصور عديدة الضجة في رأسها . كانت ترغب في تنظيف هذه الأفكار وتنقيتها، أو أن تترفع عن هذه المشاكل لكي تفهم السبب الذي دفع "جابرييل" إلى تبديد حياتهما هكذا .

خرجت "كاتي" من الحمام . جففت نفسها بمنشفة بيضاء قبل أن ترتدي مئزر "جابرييل" الأحمر الواسع . كانت رائحته تظهر فيه . غسلت المرأة الشابة بعد ذلك وجهها بالماء البارد .

في صالة الطعام كان هناك طبقان كبيران من الحساء الساخن على المنضدة . قطع "جابرييل" الخبز . وجلست "كاتي" بمواجهته، ثم قالت هامسة :

- أليست "جراس" هنا ؟

- نعم . لقد ذهبت لتمضية بعض الأيام لدى "راشيل" .

قضم "جابرييل" بأسنانه شطيرة الخبز ثم رفع ملعقته بشهية كبيرة، وواصل حديثه :

- أتعرفين أننا هنا بمفردنا ؟

دهشت "كاتي" من نبراته المغرية وردت عليه :

- لم تعد لدي الحاجة - كثيرا - إلى رفيق في سن الحادية والثلاثين، ولا حتى في سن السادسة عشرة .

تناول الاثنان طعامهما في صمت وبسرعة بينما كان المطر يهطل على النوافذ بلا انقطاع . أشعل "جابرييل" نارا لكي يدفئ المنزل . عبقت رائحة طيبة ونكية الحجرة ذات الإضاءة الخافتة .

سألها "جابرييل" عندما انتهيا من طعامهما :

- أتريدين طبقا آخر ؟

ردت "كاتي" وهي التي أرغمت نفسها على ابتلاع نصف طبقها:

www.elromancia.com

- لا . شكرا .

كم كانت غبية لإحساسها بالمعاناة إلى هذه الدرجة من أجله ! إنها ليست في السادسة عشرة من عمرها كما أن لـ"جابرييل" حياته الخاصة . ينبغي عليها ألا تهتم بمثل هذه الأمور . ومع ذلك لم تستطع "كاتي" أن تواجه هذه الهموم . لقد كانت تحلم بالغوص في وسط الفيضان . من يعرف أين تسير بها مركب الحياة ؟ نحو الموت ؟ لقد تصورت - وهي في أوج انهيارها - هذه النهاية بمنتهى السعادة .

قدم "جابرييل" لها قدحا من القهوة بالشوكولاتة .

إنه قدح مطلوب في سهرة كئيبة ! وأدركت "كاتي" أن الكابة تقوم على أن تكون حبيسة ذكرياتها . لقد تناولت طعامها في أغلب الأحيان على هذه المنضدة عندما كانت بنتا صغيرة وبصحبة "راشيل" . لقد كانت "راشيل" أخت "جابرييل" من خير صديقات طفولتها . وبمرور الوقت بدأت "كاتي" تأتي من أجل "جابرييل" .

- كيف حال "راشيل" ؟

- إنها تتحدث عنك أحيانا ، وعن البنات الصغيرات اللائي يتحولن إلى ملكات عندما يتدللن وعن ملء بطونكن بالعنب ! إنها في خير حال.

ارتابت "كاتي" في أن "راشيل" تتذكر كل هذا بالفعل .

- لابد أنك تعرفين أنها تسكن الآن على شاطئ البحر ؟

- نعم . أخبرني والدي أن لديها طفلا صغيرا منذ سنتين .

- بالضبط . إنه يدعى "داني" ...

ابتسم "جابرييل" بعذوبة . لقد حكى لها "مايك" الأخبار الطيبة الخاصة بـ آل "فولار" . ولكن لم يكن لديه الشجاعة ليحزن ابنته بالأخبار السيئة . إنه أيضا لم يحك لها عن مغامراته المزعجة . قال لها :

- لقد أنجبت ولداً آخر منذ ثلاثة أسابيع . "راشيل" لا تستقر

بمكانها . كانت ترغب في رؤية طفلها الآخر . لقد أرغمتها على أخذ إجازة صغيرة . إن هواء البحر سيعود عليها بالنفع .

- وما اسم طفلها الأخير ؟

- "ماتيو" مثل اسم والدي .

- أوه ! ولكن عندما كنا بنتين صغيرتين كانت "راشيل" تقول دائما : إنها ستترك لك هذا الاسم لتطلقه على أول طفل لك لأنه يسعدك تماما !

- أوه ، نعم ولكنك تعرفين أن كل شيء يتغير . ابني يدعى "ريشارد" وينادونه المقربون بـ"ريكي" . لقد كانت هذه أمنية والدته.

انتهى "جابرييل" من تناول قدح القهوة في صمت تام . لقد بدت عيناه غائمتين فجأة .

- هل حكى لك والدك أي شيء آخر بخصوصنا ؟

- لا . لا شيء . ولكن لماذا ؟

قالت "كاتي" لنفسها : بالتأكيد لم يخبرني بشيء ! لم يرد أن يسبب لي المتاعب بأن يحكي لي أنك عدت إلى القرية لكي تتزوج ! إنه رجل طيب ! لقد تحدث فقط عن "راشيل" لأننا كنا صديقتين حميمتين . إنه لم يذكر اسمك أبداً !

أحاطت "كاتي" قدحها الفارغ بكلتا يديها ثم قالت :

- أتعرف أنها توقفت عن الكتابة لي بعد زواجها . لقد أحبطني هذا.

- أعتقد أنها لم تدرك أبداً أنك شغوف إلى هذه الدرجة بالصور والكتابة فلا يوجد ذوق مشترك بينكما . ومن جانبك لم تهتمي بحياتها المنسقة جداً كربة أسرة . لا ينبغي إذن أن تحزني . كل إنسان يختار الطريق الذي يناسبه ويتبعه . ومن ثم نفتقد الأصدقاء في هذا الطريق .

- هذا غير صحيح . لقد كنت مسرورة حينما كانت تحكي لي عن حياتها من وقت لآخر ، حتى حياتها كربة أسرة . فهي تعرف أنني

www.elromancia.com

شخصية فضولية بطبيعتي .

قال لها "جابرييل" مقترحا :

- في هذه الحالة ربما يمكنك أن تقومي بزيارة إلى الشاطئ قبل مغادرتك .

اطلقت "كاتي" تنهيدة طويلة . مازال الوقت طويلا على الاعتراف بالحقيقة وقبل إثارة المزيد من الغموض .

- لن أغادر الوادي يا "جابرييل" . لقد قررت أن أستقر هنا . أعتقد أن والدي سيكون في أمس الحاجة إلى أن أكون بجانبه . لقد بدات مرحلة شيخوخته .

ظلت "كاتي" صامتة . يمكنها حقا أن تبقى بالقرية شريطة الا يحاول "مايك" أن يقنعها بان تغير رايها ، وشريطة ان يكون لديه بالفعل مكان لها بالجريدة ! ولكنه قد يغامر حينذاك بان يقترح عليها أن تعود مرة اخرى إلى حياة الترحال بسبب "جابرييل" .

نعم . هل من الممكن أن تعيش بالقرية على اعتبار أن "جابرييل" موجود بها ؟

قال لها متعجبا :

- إنك تمزحين !

من الواضح أن عيش احدهما بالقرب من الآخر لن يكون سهلا بالتاكيد .

قال "جابرييل" :

- لا يمكنك التفكير في هذا .

- بل . أؤكد لك أن هذا ما أنوي القيام به .

- لن تتحملي هذه الحياة .

نزل هذا القرار عليها كالصاعقة . كانت "كاتي" تظن انها تتوافق مع "جابرييل" بصفة خاصة . لابد انه غير سعيد بحياته في هذه الجبال ،

كما انها عقدت حياته بحضورها إلى هناك .

أمسك "جابرييل" راسه بيديه . لقد شعر كانه ينزلق على منحدر خطير سيلقي به في النار . إن رؤيتها مرة اخرى جعلته يفقد توازنه تماما . ولكن إقامتها بنفس القرية ! لا ... إنه لا يمكنها أن تفعل به هكذا . كان ينبغي عليه أن يتحدث إلى "مايك" قبل أن تذهب "كاتي" إليه. كان قلبه يدق بشدة . إنها سترحل بالتاكيد كما كانت تاتي وترحل بعد ذلك . إنها تتصور أن "مايك" سيحتاج إليها ، او انه ربما يكون مريضا! ولكن عندما تعرف الحقيقة فلن يكون امامها إلا الرحيل لتجوب الكوكب لكي تلتقط لها الصور الجميلة . قال لها مكررا كما لو كان يحاول أن يقنع نفسه :

- لن تمكثي شهرا يا "كاتي" . على اية حال لقد سافرت كثيرا مثلي . لقد رأيت كل العالم . حدثتني في المرة الأخيرة عن الوادي وكانه فخ منصوب لنا ولكن كنا سعيدي الحظ لاننا افلتنا منه في الوقت المناسب .

- كما قلت يا "جابرييل" : إن كل شيء يتغير . لقد اخترت الرحيل إلى مكان بعيد في وقت ما . إنك محق في انه كان يستحيل علي أن اقضي عشرين سنة او خمساً وعشرين سنة او ثلاثين سنة في هذه الهاوية . ولكنني كنت سعيدة كفتاة صغيرة ... سعيدة حتى سن الثامنة عشرة . أما اليوم فلدي الرغبة في استعادة منزلي هنا . إنها عودة الفتاة الضالة . لقد انهمكت - كما ترى - طوال هذه المدة في عملي بـ"ديزني لاند" العظيمة والزاخرة بالالوان والحياة والاهوال ايضا . لقد رأيت الأطفال في "كلكتا" ياكلون من صناديق القمامة بعد الكلاب . لدي بالتاكيد ذكريات رائعة . وقد رأيت بلاداً جميلة حيث البحر والسماء الصافية وكدت أستقر هناك . ولكن مكاني كان محجوزا هنا . أحسست بذلك . وحين فاجاتني بعض الهواجس بشان

www.elromancia.com

والدي كان ينبغي علي الحضور إلى القرية . كانت لدي الرغبة في أن أراها . أين وضعت ملابسي ؟ أريد أن أجففها أمام المدفأة . أرغب في النزول إلى القرية هذا المساء .

نهضت "كاتي" واقفة وتوجهت نحو الهاتف . لقد عثرت على بعض النشاط وقليل من صفو المزاج .

قالت :

- سأتصل بـ"مايك" . سياتي للبحث عني مع "لاندروفر" .

- مستحيل .

- ماذا تريد أن تقول ؟

- كل الخطوط الهاتفية مقطوعة يا "كاتي" . أخشى أن أخبرك أنك محاصرة هنا .

- إذن ستصطحبني ، أو تحضر لي سيارة .

- إنك تحلمين أيتها المرأة الشابة ! لقد أخبرتك قبل ذلك اننا محاصران بالفيضان .

ابتسم ابتسامة زائفة .

ساد "كاتي" انطباع غريب . إن الأمور تسير كما لو كانت قوة غير طبيعية تسعى إلى تحطيم الحواجز والاقنعة التي تعدها بعناية واحداً بعد الآخر لتجنب الغوص في دوامة علاقة الحب . بلاجدوى . لقد أحبها "جابرييل" دائما . لقد اقتادها إلى هنا وهو يعرف أنهما سيكونان بمفردهما وأنه لن توجد أمامها أي فرصة للهرب من المنزل . نعم ، إنهما يرغبان بعضهما بعضا بنفس درجة الشوق .

كان "جابرييل" عاجزا عن إخفاء هذا ، ولم يحاول أن يخفيه أيضا . إن هذا واضح جداً الآن على وجهه . لقد تزوج بالتاكيد بأخرى ولكنه مازال عاشقا لـ"كاتي مايك كوينجل" !

شعرت المرأة الشابة بأن الدم يتدفق إلى حلقها .

همست :

- محاصران بالفيضان . أنا ... أرى أن ..

قاطعها قائلا :

- اتفهمين الآن ؟ لقد اصطحبتك إلى هنا لأنني لا أحتمل أن تقيمي هذا المساء بمكان آخر .

تلقت المرأة الشابة هذه الضربة وتشبثت بالمكتب المجاور لها . على الرغم من أنها صدقت "جابرييل" إلا أنها أمسكت الهاتف وهزته لكي تستمع إلى صوت الحرارة ولكن لا شيء .

قالت "كاتي" بصوت يحمل نبرة الشكوى :

- ينبغي أن أكون عند "مايك" هذا المساء . أنا على يقين أنه يمكنك أن تقدر هذا . هل لديك قارب آلي أو زورق بخاري أو هليوكوبتر ؟

هز "جابرييل" رأسه وهو مثبط العزيمة :

- لقد أصبح الليل مظلما بالخارج ، لابد أن النهر ثائر وهائج الآن . لا تكابري يا "كاتي" . الرحيل في هذا المساء يعتبر بمثابة الانتحار .

هناك خطورة عليها أيضا من قضاء الليلة بالمزرعة .

قالت :

- لا أخشى النهر الثائر بحق السماء . كنت بطلة في السباحة .

قال بلهجة لا يبدو منها أي أثر للاعتذار :

- آسف . لا يوجد قارب أو مركب ، لا يوجد غير زورق قديم فاسد خاص بـ"اندرا" كما أن مجدافه غير صالح . نحن محاصران هنا . لقد أصبح الجبل مثل الجزيرة ، ولابد أن جزءاً كبيراً من القرية غارق تحت الماء تماما .

عادت "كاتي" واستندت إلى المنضدة وألقت بنفسها على الكرسي . عضت شفتها العلوية . كان "جابرييل" مواسياً إياها دائما . في هذه اللحظة ، أدركت أنه لم يتغير .

www.elromancia.com

- نحن هنا في منتصف الطريق بين الوادي والقمم الجبلية .

- نعم ولن يعلو الفيضان حتى هذه المرتفعات . ارجوك إذن يا "كاتي" الا تلقي بنفسك في هذه المغامرة الانتحارية بينما اكون غارقا في النوم!

- بصراحة يا "جابرييل" الا تتخيلني وانا اكاد ارتكب هذه الحماقة ؟

- اوه ، بلى . إن المصورين والصحفيين المحبين لعملهم يتسمون جميعهم بهذا الجنون . إنك لم تبدي ذلك ولكنني متاكد انك توافقينني على رايي تماما .

- ولكن ينبغي ان ارى والدي ! إنني قلقة جداً ! إذا تيقنت على الاقل انه بعيد عن الفيضان وانه يجد ناراً لكي يتدفا بجانبها فساطمئن .

- هناك فرصة كبيرة لان يكون المنزل بمامن عن الخطر . إنه يوجد باعلى وسط القرية .

- اوه ، يا إلهي . يا ليت الأمر كما تقول ! لدي اعتقاد يساورني بان والدي يحتاج إلي الآن .

كان "جابرييل" يرغب في ان يقول لها : "وانا لدي رغبة اكبر في ان تبقي هنا يا "كاتي" ، ولكن هذا الكلام لم يتجاوز شفتيه . جلس بجانب المراة الشابة وامسك يدها المتجمدة بين اصابعه الساخنة . كان يدرك انه قادر على ان يشعرها بالدفء حيث إنه لا يجرؤ على احتضانها .

- اصغي إلي يا "كاتي" . اعرف كم انت متلهفة لرؤيته . اقسم لك انني ساصطحبك إليه عندما يصبح الوقت مهيا لذلك . ولكن كفي الآن عن التصرف هكذا كما لو كنت تخشين ان تبقي بمفردك معي في هذا المساء

.

شعرت "كاتي" بالقوة الحيوية لـ"جابرييل" التي تواسيها تجري تحت جلدها بحرارة . كانت ترغب في ان تاخذه بين ذراعيها . لقد كانت تحتاج حقيقة إلى من يداعبها بعد كل هذه الانفعالات . كانت تحلم بانهما سيتمددان هنا على هذه الاريكة ويتبادلان الاحضان برقة متناهية

وهما يستمعان في هدوء إلى شدو المطر والعاصفة .

ثم افاقت "كاتي" من حلمها وعادت إلى ارض الواقع .

كان "جابرييل" يداعب يديها . شعرت "كاتي" ان خديها قد كساهما اللون الوردي بشكل ظاهر .

- لا تنظري إلي بهاتين العينين يا "كاتي" وإلا فسينتهي بي الأمر بالخوف من تمضية الليلة هنا معك بمفردي .

همست المراة الشابة :

- "جابرييل" ، إنني لا اشعر بالخوف منك ابداً ، لا قبل ذلك او اليوم. ونفس الشيء بالنسبة لهذه الليلة .

الفصل الثالث

قال "جابرييل" محذرا وهو يداعب بإبهامه ذقن المرأة الشابة :

- ينبغي ايضا الا تكوني متاكدة من نفسك فالخوف له أوجه غير متوقعة ... أوه ، انا لا اتحدث عن هذه الليلة .

نظر في عينيها ثم قال :

- اتعرفين انني لا اشعر بنفسي جيداً هنا ! إنهم لن يتركونا أبدا نعيش في هدوء ، كل واحد في دنياه .

- من تقصد بـ"إنهم" ؟

- القرية . الا تعرفين ما قد حدث في السنين الاخيرة ؟ هؤلاء الناس كانوا يلاحقونني بالأسئلة ومازالوا لانهم علموا انك تحققين نجاحا تلو الآخر . كانوا يوزعون كل المجلات التي تظهر بها الصور التي التقطتها أو مقالاتك . اضطررت أمام اقاويل كل واحد منهم إلى مغادرة الوادي وتركتك هنا بمفردك . كل هذا قد حدث كانهم يسعدون إلى حد ما بتعذيبي لانهم يعرفون جيدا انني مازلت مرتبطاً بك . إنها رجاحة

العقل كما يقال . كانوا يعشقون أن يطلعوني على النجاح الذي تحققينه بدوني ، ومازال هذا مستمرا حتى اليوم ! ستحققين نجاحا عظيما بالتحقيق الخاص بالفيضان ، وكل واحد منهم سينظر إلي ولسان حاله يقول : "إن هجران فتاة مثل هذه يعتبر خسارة كبيرة !" . لقد اصبحت شخصا منبوذا في القرية .

قالت "كاتي" متعجبة :

- لا يمكنني أن أصدق هذا ! إنهم - مع ذلك - ليسوا قساة القلوب ! إنهم ...

- لا ، ولكنهم يعشقونك . لقد اصبحت معبودتهم وساحرتهم .

اصبحت الصور مثل العصا السحرية اليوم . وفي المقابل بدءوا يكرهونني بالتدريج لانني هجرتك كما لو كنت تركتك وهناك طفل على ذراعيك أو شيء من هذا القبيل . اعترف انني لم ادرك الأمر جيداً في بعض الأيام . ولكنهم لم يضعوا في اعتبارهم انك كنت مازلت طفلة في سن السابعة عشرة بينما كنت انا في العشرين من عمري وكنت رجلا وسيما . كنت أحترق من داخلي لانني تسللت من هنا .

- قلبك دفعك لاكتشاف العالم . إن هذا يبدو لي أمرا طبيعيا .

ليس لدي ما اقوله لك بناء على ما اخبرتني به . لقد احسست بنفس الاندفاع وقتا بسيطا بعدك . كنت مشتتة انا ايضا . كنت سعيدة جداً عندما وجدت نفسي حرة في وسط كل هذه الأشياء التي تمد إلي أيديها .

- اعيدي هذا الاختيار يا "كاتي" ! ادخلي مرة اخرى . استحلفك بالله! الحياة هنا ليست حلما . لا تتركي نفسك تسقطين في الفخ .

- لقد قررت شيئا آخر يا "جابرييل" . هذا الوادي يعتبر - بالنسبة لي - ملجا أمينا ، كما أن كل امرأة تتمنى ان يكون لها في يوم من الأيام مكان خاص او منزل لتستقبل به اصدقاءها الذين يسعدون

www.elromancia.com

بالمجيء إليه لأنهم يجدون أنفسهم به . أعتقد أنه حان الوقت الذي أشيد فيه منزلي هنا بدلا من الاكتفاء بهذه الشقة الموجودة في برج فاخر بـ"تورنتو" حيث ينبغي الا اقضي بها اكثر من ثلاثة او اربعة أسابيع في السنة . إنني في احتياج إلى بيت صغير وعمل طيب يسمح لي بالبقاء في الضواحي . إن هذا ما حلمت به طول هذه السنين الأخيرة .

- "كاتي" ...

أمسك "جابرييل" يد صديقته التي توترت في هذه اللحظة من جراء تاثير يده .

- "جابرييل" ليست لدي النية في أن أتدخل في حياتك ، كما انني لا انتظر اي شيء منك . يجدر بنا نحن الاثنين الا نفكر كثيرا في الماضي.

نهضت واقفة وجمعت الأطباق والاكواب وادوات الطعام المبعثرة على المنضدة وحملتها حتى حوض المطبخ .

- بل على العكس ، ينبغي أن نتحدث عنه . إن هذا شيء مشترك بيننا ؛ لأن الحب قد جمع بيننا ، وهذا الحب يزداد قوة بالتدريج . انا متاكد انك تشعرين به أيضا .

كان "جابرييل" محقا . لقد أجرت ذكرى ارتباطهما الدم في عروق "كاتي" ، وفي كل مرة ترى فيها نفس الرغبة في عيني "جابرييل" كان قلبها يخفق بقوة .

قالت :

- كان ينبغي أن نستخلص الدرس مما قد حدث في اثناء هذه الرحلة البحرية . من ناحيتي لقد استفدت جيداً .

- أي درس استفدت إذن ؟ وهل اكتشفت هذا على المركب ؟

- إن الحب ليس ساحراً . إنه لا يكفي أن تثق باي علاقة لأن الحب او الثقة لا يحققان ما كنت أمله .

على الرغم من حزنها ابتسمت "كاتي" ابتسامة باهتة :

- إن ما عشناه يا "جابرييل" ضرب من الأحلام . واليوم أسميه وهما. حتى ليلتنا التي قضيناها على المركب ، لدرجة انني اتساءل : إذا كانت هذه الليلة قد حدثت بالفعل ؟

- إنني لا انظر إلى الأمور بهذا المنظور يا حبيبتي ! إنك تتحدثين عن حلم ! عن وهم ! لكن كل شيء باق في قلبينا حتى إننا مازلنا نتحدث عنه حتى هذا المساء . وهذه الذكريات مازالت قادرة على إلهاب مشاعرنا .

كان من السهل عليها أن تمشي ناحيته وتلقي بنفسها بين ذراعيه وتهمس : "نعم يا حبيبي ، إنك محق" .

فتحت "كاتي" صنبور الماء الساخن وغسلت الأطباق . نهض "جابرييل" واقفا واقترب منها بهدوء . استدارت المراة الشابة وتمسكت بطرف الحوض المصنوع من الخزف المطلي .

- "كاتي" نحن نعيش الآن في الحاضر في هذه الأمسية .

وتعرفين جيداً أنه لن يغير اي شيء ما كان بيننا ، وإذا بقيت ...

أخذ "جابرييل" المراة الشابة بين ذراعيه ، ثم جذب ظهر "كاتي" برقة إليه . ظلت "كاتي" متحجرة إزاء هذا الحضن .

قالت - برباطة جاش - كاذبة :

- لقد تغير كل ما بيننا .

أرغمها على النظر في عينيه .

- بالتاكيد ، إنك محقة . لقد تغير كل شيء في الليلة التي مارسنا فيها الحب معا .

شعر "جابرييل" بجسد صديقته يتاثر بشكل واضح أمام جسده.

- قبل هذه الليلة المقصودة كانت مشاعرك تجاهي مشاعر فتاة مراهقة . وبعد ذلك أصبحت مشاعر امراة حقيقية ، ومازالت كذلك

حتى اليوم . أليس كذلك ؟

ارتجفت "كاتي" وهي بين ذراعي "جابرييل" . وضعت يدها على جذعه القوى لكي تمنعه من الاقتراب منها أكثر . أغرتها شفتاه الغليظتان كانهما ثمرة متدلية . لقد عشقت دائما هذا الفم الرجولي الساحر الذي يذكرها - بالطبع - بافواه تماثيل عصر النهضة الفنية الإيطالية ، ويصيبها بالدوار دائما . ولكنها قاومت الإغراء .

همست بصوت متعب :

- اتركني الآن .

لكن وجه "جابرييل" تفرس في جسدها ببطء :

- لا يا "جابرييل" .. لا ...

كانت هذه القبلة الأولى المثيرة بمثابة احتفال بالتقائهما مرة أخرى.

كان واضحا أن جسديهما يرقصان تحت تاثير لذتها . كانا يتمايلان ببهجة وامتنان . شعرت "كاتي" بالدفء الذي أكرمها به "جابرييل" .

أوه كم هي تحب أ ن تدس أصابعها في شعره ! وترتوي من هذا الفم الآن ، مع كل هذه العاطفة التي يصعب على الكلمات أن تعبر عنها.

قال "جابرييل" بصوت عذب وملح :

- إنك ملكي يا "كاتي" .

اقترب "جابرييل" وعيناه نصف مغمضتين - من وجه صديقته بينما كانت يداه تمسكان وجهها البيضاوي المثير حتى إن مداعباته كانت تتجمل مثل الشجرة التي تروى .

- لا تقل هذا . إن هذا ليس صحيحا .

- إنه صحيح بالتاكيد . صحيح منذ أن تعانقنا . أوه يا "كاتي" كنت أعرف دائما انك ستكونين زوجتي في يوم من الأيام !

أغلقت "كاتي" عينيها . قبل "جابرييل" - برقة - جفنيها وأذنيها وشفتيها و... و....

- إنني في أمس الحاجة إليك يا "كاتي" . تعالي معي . دعيني أحبك من جديد .

"جابرييل" ! لقد نمت لحيته منذ الصباح . لقد خدش بشرة "كاتي" الناعمة ولكن بدون قسوة . اضطرمت عينا "جابرييل" تحت رماد كل الرغبة المتجمعة طوال سنين الفراق هذه لانه لم يتوقف ابداً عن حب "كاتي مايك كوينجل" او الرغبة فيها على الرغم من عشقه للحرية والترحال .

ضمها إليه برقة .

قالت "كاتي" بصوت حازم :

- لا يا "جابرييل" .

كانت "كاتي" ترى أنها ليست ملكه . إنها ليست زوجته . سواء شاء أم لا فإنهما قد بددا شيئا ما . إنهما لن يؤسسا شيئا على الإحساس بالإخفاق الذي عاناه قلباهما كثيرا ثم يقومان بعد ذلك بدور سليم النية .

نظر "جابرييل" إليها وفهم كلامها .

تركها برفق شديد وهدات "كاتي" بالتدريج . امتلأت عيناها بالحزن والاستسلام .

قال لها :

- حسنا . حسنا . لن ينبغي أن ...

استند إلى الحائط وعقد ذراعيه ثم واصل حديثه :

- نحن في حاجة إلى بعض الوقت . لقد تعجلت . سامحيني.

صححت "كاتي" كلامه :

- لست في حاجة إلى ذلك . إنه مجرد سوء تفاهم . لم أعد إلى هنا

www.elromancia.com

لاقع بين ذراعيك يا "جابرييل" ، كما انني لم اعرف انك كنت ستتواجد هنا .

- وإذا كنت قد عرفت فهل كنت ستعودين يا "كاتي" ؟

القت نظرة تبدي الحقيقة .

- بالتاكيد نعم . لقد قررت الاستقرار في الوادي . لن يمكننا تجنب هذا . إنك تقضي اغلبية وقتك هنا . سنتقابل احيانا بالقرية. لا ارى هنا اي شيء مكروه فنحن سنتبادل الحديث مثلما يفعل كل الناس ، هذا كل ما في الامر !

كان "جابرييل" يقول لنفسه : "هذا لن يحدث ابداً . وهي تعرفه ولكن "كاتي" كانت دائما عنيدة بشكل فظيع ومن ثم يحاول ان يقنعها . ستشغلها الأحداث عنه بالتدريج .

- ساعد لك حجرة "جراس" وانت تاخذين حمامك . ساخرج في صباح الغد مبكرا . تصبحين على خير يا "كاتي" .

- تصبح على خير يا "جابرييل" .

سمعته وهو يصعد درج السلم ثم اطفات الأنوار . كانت حجرة "جراس فولار" تشع بجو الريف . كانت "كاتي" تعرف انها لن تنام . كانت آخر فكرة تدور في راسها قبل ان تلف نفسها في الملاءة الملونة هي الاستيقاظ مبكرا قبل "جابرييل" لانها تنوي مغادرة المزرعة معه ...

ساد "كاتي" انطباع بان هذه الفكرة تفتقت إلى ذهنها فور استيقاظها على صوت الهليوكوبتر التي دارت محركاتها بالخارج. فتحت عينيها. لقد انبلج الصباح .

لقد تطرق إلى ذهنها في الحال انه لن ينتظرها . قفزت من على سريرها ، وارتدت المئزر الأحمر السميك وأسرعت إلى المطبخ .

قالت صارخة :

- "جابرييل" ، انتظرني !

قال وهو يدفعها برفق :

- آسف . لقد تاخرنا عن موعدنا .

قالت المرأة الشابة بإصرار :

- لست في حاجة إلا لثلاثين ثانية لكي ارتدي ملابسي . ارجوك يا"جابرييل" . يمكنك ان تنزلني في القرية قبل ان تبدأ عمليات الإنقاذ .

- أخبرتك يا "كاتي" ان هذا مستحيل ! الهليوكوبتر مخصصة لعمليات البحث فقط .

- لا يمكنني أن ابقى هنا بمفردي طوال اليوم . ينبغي حتما ان اذهب إلى القرية لكي أرى والدي .

- انصتي إلي ! اعدك بان اصطحبك إلى "مايك" عندما يصبح هذا ممكنا . ولكن هطول الأمطار لم يتوقف ثانية واحدة منذ البارحة . إن منسوب النهر مازال مرتفعا ايضا . هناك اناس يحدق الخطر بهم ، وربما يموت الأطفال والحيوانات إذا لم نرحل في التو . حاولي ان تفكري قليلا ! لدينا شيء آخر نفعله غير إرضاء نوازع الانانية لفتاة صغيرة تريد رؤية والدها !

قالت المرأة الشابة وهي تكاد تنفجر :

- كاذب ! إنك تسعى حتما إلى أن اظل محبوسة هنا ! ولكن انظركم من الوقت ضيعته في الثرثرة ! كنت ارتديت على الاقل ملابسي في هاتين الدقيقتين . وربما تكون الهليوكوبتر أوشكت ان تذهب و ...

انفتح الباب بفظاظة . امسك "جابرييل" "كاتي" من معصميها . يبدو انهما يتشاحنان .

قال الطيار - المرتدي مثل "جابرييل" بذلة الإنقاذ البرتقالية - بفارغ صبر :

- ينبغي أن نذهب . جهز نفسك فهناك ما نفعله في أسفل الوادي !

ثم تفرس الرجل في "كاتي" بدهشة كبيرة . لقد كانت "كاتي" ترسم بمئزرها المفتوح الذي يظهر ملابسها الداخلية اللامعة وشعرها المشعث وخديها المتوردين من جراء غضبها - صورة لها تاثير واضح على سلاح جهاز الأعصاب الرجولي .

قال الرجل :

- آسف يا سيدتي . لم أكن أعرف ولكن العمل قبل أي شيء ، تدركين ذلك ؟ ولكننا مشغولان للغاية . "فولار" الا تسرع من فضلك!

غادر "جابرييل" المطبخ لكي يعود إلى الطائرة التي تركها في الدوامة.

صرخت "كاتي" قائلة وهي توشك أن تبكي :

- قل له أن ينتظرني !

رد "جابرييل" - الذي كان يمسكها دائما من معصميها - عليها ببرود :

- ليست أمامك أي فرصة . مع هذه العاصفة يتضمن الطيران بعض الخطورة.

جذبها "جابرييل" بقوة إليه وكان ذلك بمثابة تعويض لها عما انتهت إليه مناقشاتهما . غطى شفتيها بقبلة حارة ولذيذة الطعم مما أجبرها على إمالة راسها بقوة إلى الخلف . ثم تركها وخرج دون أن ينبس ببنت شفة . أسرعت "كاتي" بالخروج وراءه . أضافت شدة الرياح وهطول الأمطار والسماء الباهتة والأرض التي تحولت إلى عجينة بشعة قتامة شديدة إلى المشهد . دخل "جابرييل" إلى الطائرة بدون أي صعوبة لأنه ينتعل حذاء مناسبا .

وعلى العكس زلت قدما "كاتي" العاريتان فوقعت على الأرض في الطين . وعندما نهضت كانت الهليوكوبتر قد اقلعت . انطلق بعض السباب من فمها نحو السماء وسالت الدموع على خديها أيضا .

كان أمام المرأة الشابة الوقت لتأخذ حماما .

سمعت صوت الطائرة تعود بعد ثلاث ساعات ، ولكن غضبها قد زاد في خلال هذه الساعات . ارتدت الحذاء على عجل وبرنس "جراس" . وبما أنها كانت لاتزال تمطر فقد ربطت "كاتي" غطاء الرأس حول ذقنها، ثم أسرعت إلى الخارج وهي عازمة على الرحيل في الرحلة القادمة .

جرت صوب المكان الذي هبطت إليه الطائرة . خرج "جابرييل" من الكبينة وهو ممسك بشيء بين ذراعيه ، شيء يبدو هشا . خرج المسافرون الغرباء - واحداً بعد الآخر - من الطائرة . إنهم أطفال يرتدون ملابس غريبة . هناك بنت صغيرة ترتدي فستانا رماديا طويلا بازرار صغيرة وقبعة متناسقة تركت انطباعا بانها أتت من عصر آخر . كان الأطفال يتراصون خلف "جابرييل" بشكل غريب. ويبدو الخوف واضحا عليهم من الطيران وسط هذه العاصفة .

راقبت "كاتي" هذا المشهد وهي فاغرة فمها وساكنة أمام هذه الأمطار. وقف "جابرييل" أمامها . كان نظره متلالئا وهو يبدي ابتسامة مشرقة لرجل قد انقذ حياة أقرانه .

وجدت "كاتي" في هذا ضربا من البطولة وكان هذا كافيا ليمحو كل توبيخاتها وغضبها دفعة واحدة . مستفيدا من دهشتها الشديدة اعطاها "جابرييل" سلة صغيرة بها طفل صغير يرتعد من البرد . ثم منحها قبلة خشنة على شفتيها بشكل من السعادة الملائكية .

- "جابرييل" ، أنا ...

قال لها مفسراً :

- إنها الشحنة الأولى من البضاعة ، والباقي في نهاية اليوم . كل هؤلاء الأطفال في حاجة اليوم إلى أم . لقد راوا باعينهم - أهوالا . أوه، لقد نسيت ! إن المخزن مملوء بما قد تحتاجينه من أطعمة لهذا الحشد الصغير اللطيف .

ثم استدار "جابرييل" وجرى نحو الهليوكوبتر التي اقلعت في الحال للقيام بمغامرات اخرى ونحو اخطار اخرى وانقبض قلب "كاتي" على اثر تذكرها . ثم توجهت نحو الأطفال الملتفين حولها تحت مظلة المطر ، واخبرتهم انهم في مامن الآن ولا يوجد اي داع لخوفهم . ظل الجميع صامتا . سالتهم : إذا كانوا جياعا؟ ولكنها لم تتلق اي إجابة . بدا الأطفال تعساء وغرباء الأطوار .

ظنت "كاتي" انهم اطفال متزمتون . بالفعل هناك بعض المجتمعات الصغيرة التي تعيش في حالة انطواء بداخل الوادي .

لابد أن الشقاء قد وصل إلى هذه القرى .

- هيا سنشعر بالرجفة إذا بقينا تحت المظلة . سنشعل نارا حتى يشعر الجميع بالدفء . وبعد ذلك نعد اي شيء لناكله .

تبعها الأطفال إلى الداخل دون أن ينطقوا اي كلمة . وفجاة فهمت "كاتي" . انقضت طفلة صغيرة على المنضدة التي يوجد بها سلة خبز .

تعجبت اختها الكبرى بخشونة :

- "مارثا" ، "تين" !

المانيون ! ومن لا يتحدث الإنجليزية . "كاتي" لا تعرف إذا كانت تصب جام غضب حياتها على "جابرييل" أو انه ينبغي عليها أن تلعب الدور الذي فرضته عليها الحياة الآن .

اختارت الحل الثاني عندما نظرت من حولها . لقد اقنعتها غريزة الأم بقبول هذا الحل . إن الأطفال في احتياج إليها ولن يشعروا باي شيء ينقصهم ما داموا تحت حمايتها .

اعادت الهليوكوبتر "جابرييل" إلى المزرعة في المساء مع عشرة أطفال آخرين . استقبلتهم "كاتي" بحفاوة بالغة وهي تسأل نفسها: كيف سيمكنها أن تعتني بمفردها بهذه العائلة الكبيرة ؟

رفض طفل صغير في العاشرة من عمره النزول من الهليوكوبتر .

فاخرجه "جابرييل" بالقوة منها . ضربه الطفل بمعصمه وعض كتفه واذنه .

وضعه "جابرييل" - عندما دخل - على الأرض ثم جثا على ركبتيه ليكون في مستوى الطفل وفعلت "كاتي" نفس الشيء .

بدا "جابرييل" الكلام بصوت قوي مغر :

- "هانز" أعرف أنك تتحدث الإنجليزية . لقد اخبرتني أختك بهذا في اثناء وجودنا بالطائرة . كان والدك سعيدا بمجيئك إلى هنا. لقد اخبرك بهذا ، اليس كذلك ؟ إن الأمر حسن إذن بالنسبة لك . وبالنسبة لي لقد اخبرتني انه لا يوجد افضل منك في حلب البقرات والتحدث معها دون أن تسيء إليها . حسنا ، هناك بقرتان نريد حلبهما . لابد انهما بداتا تثوران ؛ لأن الوقت قد تاخر . الا تريد أن تفعل هذا من اجلي ايها الصبي ؟ هيا ، الحظيرة على اليمين وانت خارج . ليس امامك إلا الجري . تحت المطر . ستجد كل ما تحتاجه هناك . اتفقنا ؟

رفع الطفل عينيه الحزينتين إلى عيني "جابرييل" . كان هناك ظل ابتسامة على وجه الطفل ، تشكر هذا الرجل المجهول الذي فهمه ايضا ثم اختفى وهو يجري .

قالت "كاتي" دهشة :

- أتتركه بمفرده في الحظيرة ؟ لقد أسدل الليل استاره كما انها تمطر ، سيشعر بالخوف .

- لقد مات والده اليوم تحت بصره .

- اوه ...

- إنه في حاجة إلى أن يفجر حزنه . ولكن تربيته تمنعه من فعل مثل هذا الشيء أمام الموجودين . سيبكي ملء جفونه عندما يحلب البقرات . سيهدأ بعد ذلك دون مساعدة أحد .

- اوه يا "جابرييل" .

www.elromancia.com

اخذها بين ذراعيه .

- اينبغي علي أن أوجه لك الشكر لعنايتك بكل هؤلاء الأطفال من اجلي؟

شعرت "كاتي" أن معدتها تقلصت .

- لا ولكن لدي إحساس أنك على وشك أن تفعل هذا .

احتضنها "جابرييل" . اتخذت القبلة في هذه المرة شكل قبلة المحارب العائد من الحرب .

همس امام شفتي المراة الشابة :

- اوه يا "كاتي" ... هذا يبدو غريبا ولكن .. شيء جميل أن نتلاقى .

غطت شفتاه فم "كاتي" تماما حتى إن الدموع ترقرقت في عينيها . شيء ما بدا يتكشف في قلبها . إنها ادركت ان "جابرييل" لم يكن يستطيع أن يحتضنها بهذا الشكل إذا كان مازال محبا لزوجته . وهذا بدوره غير كثيرا من الأمور بالنسبة لها.

الفصل الرابع

كان المنزل هادئا ، وكل الأطفال نائمون وقد شبعوا بعد أن تناولوا طبق المكرونة الذي أعدته لهم سيدة المنزل . استراح "جابرييل" و"كاتي" وقد تمددا بلا اكتراث على الأريكتين المواجهتين لبعضهما بعضا والقريبتين من مدفأة الصالون .

قال "جابرييل" معتذرا :

- أسف لأنني فرضت عليك هذا الوضع . ولكن لا توجد حلول أخرى. في المجتمعات المتزمتة يشيد أهالي القرى سدوداً على جانبي النهر . لقد قضى الفيضان على نصفها ولكن لن يعاني السكان كثيرا . لقد انكب هؤلاء الناس على بنائها على أن تكون عالية وقوية . إنهم - رجال ونساء - يعملون ليلا ونهارا على الرغم من هطول الأمطار والبرودة . ولكن الخطر مازال قائما .

إذا عادت العاصفة من جديد فستقضي على كل شيء . لقد نجحنا في إقناعهم بإبقاء الأطفال في مكان آمن . وحينذاك تذكرت انك

www.elromancia.com

تتحدثين الالمانية قليلا ! عندما اخبرتهم ان المزرعة توجد بالمرتفعات وافقوا على الفور .

- على خلاف ما اعتقدته فلقد تحدثت الالمانية دون صعوبة . ولكن شريط الديو المسجل هو الذي انقذ الموقف . لقد اعادوه مرتين او ثلاث مرات بعدها ، وبعدها بقليل عزفت على البيان وغنينا معا .

تمدد "جابرييل" على الاريكة . وضع راسه عليها بشكل مريح وتثاءب. لقد شعر بالإجهاد طوال هذا اليوم . لقد بدا حالما وتائها في حلم ما . خمنت "كاتي" انه يفكر في ذلك الرجل النمساوي الأشقر الذي لم يكف عن إبداء إعجابه بها وظل يرقص معها حتى آخر السهرة في اثناء رحلتهما البحرية على "اوربون" . لقد علم "جابرييل" من خلال هذا انها تتحدث الالمانية وقد تذكر ذلك في هذا الصباح .

- "جابرييل"؟

- نعم .

- إنك راغب في النوم . ينبغي أن تذهب للفراش .

قال لها وهو يبدي ابتسامة رائعة .

- كان من الواضح ان كل الاسرة والمراتب والاغطية وحقائب النوم تحمي الاطفال في اثناء نومهم من برودة الجو .

قالت "كاتي" مقررة :

- حسنا . يبدو لي ان مكانك - حيث تجلس - مناسب . اليس كذلك؟ انا متاكد انه إذا اغمضت عينيك هنا فإنك لن تستيقظ قبل صباح الغد، وليس في الفجر .

قال "جابرييل" بنظرة يملؤها المكر :

- ربما يمكننا ان نقرب الاريكتين قليلا ...

- انس هذا . اعتقد انه يمكنني ان ادس نفسي بين " يسلا" و"مارثا" في سرير والدتك . إنهما نحيفتان .

مد "جابرييل" يده نحوها .

- الا تريدين حقا ان نقرب الاريكتين ؟ على الاقل لتشعري بالدفء ، فليست هناك اية اغطية .

ابتسمت "كاتي" ابتسامة رقيقة كان "جابرييل" يتسم بالوسامة، وبسبب التعب والظروف المحيطة به وطبيعته ورغبته التي تنبعث من جسده كله مثل الرائحة النفاذة اصبح شجيا للغاية . اوحت عيناه لوزية الشكل بجنون الرغبة بداخله . ولكن "كاتي" لم تاخذ يده . إذا كان ينبغي ان يعود كل شيء بينهما إلى ما كان عليه فإنها تريد اولا العثور على أحاسيس النفس ، وستاتي ليالي الحب بعد ذلك مثل هطول المطر على ارض جدباء بعد فترة انتظار طويلة .

- ليست امامك اي فرصة يا "فولار" . على الاقل الآن .

ابتسم "جابرييل" . لقد ادرك مغزى كلامها جيدا .

- لدي رغبة فيك يا "كاتي" ! لماذا تخفين هذا ؟

ثم غير موضوع الحديث تماما .

- انا سعيد انك اعتنيت بهؤلاء الاطفال . ولكنني اعترف بانني لست لاعبا جيداً . اعرف جيداً انك عاجزة عن الصمود امام طفل صغير محتاج للمساعدة . لن تريدي مني اكثر من ذلك .

- لا . هذا اليوم جعلني سعيدة .

- أعتقد أنني ارتكبت خطا آخر . كان ينبغي ان اوصلك في الحال إلى والدك . لم تكن فكرة اصطحابك إلى هنا فكرة جيدة فقد خشيتها .

شعرت "كاتي" بالضجر من هذه الكلمات . بدات آمالها الغامضة تتبدد مثل الشمع المحترق . هل فقدت اتزانها عندما تخيلت ان قوة حبها لـ "جابرييل" تكفي لإزالة كل العقبات ؟ بعد عدة ساعات سيبدو كل شيء واضحا وبسيطا : إنها تحبه ، وبما انها متاكدة من هذا الاعتقاد الداخلي فلقد شعرت بانها قادرة على المواجهة حتى تعيد إليهما قوة

وطهارة علاقتهما الأولى وهي عازمة جدا على عدم الاستسلام حتى تصبح زوجة "جابرييل فولار" .

قالت بصعوبة :

- خطا ؟

- نعم بالنسبة لك ولي . وبالنسبة ... لكل المهتمين بعلاقتنا القديمة سواء من بعيد أو قريب .

شعرت "كاتي" بالبرودة في ظهرها على الرغم من قرب النار منها ووجود "جابرييل" إلى جانبها .

كل المهتمين . هناك إذن عناصر اخرى يجب وضعها في الاعتبار أو بمعنى آخر هناك عقبات . هناك بالتاكيد زوجة "جابرييل" حتى لو كانت مطلقته . وهناك ايضا ابنه . وربما ينوي "جابرييل" أن يرعاه بمفرده دون مساعدة من أي امراة اخرى ؟ إن "جراس" لها دور هي الاخرى في هذه اللعبة . العالم كله مشترك الآن في هذه اللعبة ايضا . ماذا سيحدث عندما يعود كل واحد منهما إلى المزرعة ؟

قطبت "كاتي" حاجبيها :

- "جابرييل" اخبرني حقيقة بما تفعله هنا . يا لها من مزرعة نموذجية في هذا الوقت ! لقد اصابتني الدهشة عندما علمت في اثناء حديثك مع "هانز" انه لا يوجد اكثر من بقرتين في الحظيرة .

- نعم . هذا يكفي لاستعمالنا الشخصي .

- ولكن "اندرا" جعل هذه المزرعة نموذجا من ناحية الجودة والعائد في وقت قصير ... اين هو ؟ اين "اندرا" ؟

اعتقدت "كاتي" - برهة بسيطة - انه لم يرد عليها . ولكن "جابرييل" اعتدل على الأريكة وجلس قبل أن يضع راسه بين يديه. ثم القى نظرة حادة على النار المتاججة امامه :

- "اندرا" في ... في المستشفى يا "كاتي" . إنهم يسمونه مستشفى .

ولكنه مبنى يتمتع بالأمان الشديد . سجن . إنه سجن حقيقي . "اندرا" هناك بسبب جريمة قتل .

- اوه ، كلا ...

هزت "كاتي" راسها بتاثر واضح وهي غير قادرة على تصديق ما قد سمعته للتو كما لو كان أحد قد ابلغها بخبر وفاة أحد اقاربها او شخص عزيز عليها . ثم تقبلت بالتدريج هذه الحقيقة المرة . كان "اندرا" مستبداً دائما . لقد افسد طفولة "جابرييل" وشبابه . لقد عانى كثير من الناس قسوته وخصوصا في المدرسة والقرية .

ولكن جريمة قتل ؟

جلست "كاتي" على الأريكة بالقرب من "جابرييل" وهي تستند على ذراع الأريكة ، وفعل "جابرييل" نفس الشيء . يبدو انه ايضا يشعر بالبرودة . لقد شحب وجهه . أمسك يد "كاتي" بيده .

قالت له برقة :

- احك لي ما حدث .

- حسنا ...

ولكن الكلام تعثر في حلقه .

- لقد قتل زوجين شابين كانا يقطنان الجبال ناحية الشرق . ولا أحد يعرف لماذا فعل هذا . ونحن ايضا لم نعرف ابدا . الشيء الوحيد المؤكد هو انه اصبح مجنونا تماما . لا يستطيع اي شخص حصيف أن يكمل ... هذه الأشياء . لم يرد أبداً أن يعترف بحقيقة ما حدث حتى عندما ظهر شاهد واقر انه كان بالقرب من مكان الجريمة لحظة وقوعها. لقد انتظر الرجل حتى يقبض على "اندرا" . كان هذا واضحا جداً . عندما ذهبت الشرطة إلى مكان الحادثة ورفعت بصمات "اندرا"...

بدا التاثر واضحا على صوت "جابرييل" . لقد تلعثم قليلا تحت

www.elromancia.com

تاثير مشاعره . وضع راسه بين يديه مرة أخرى . هزت حركات متقطعة كتفيه ، وانخرط في البكاء .

- آسفة يا "جابرييل" . لم يكن ينبغي أن أطلب منك هذا . لن نتحدث عنه إذن . سأذهب لإعداد الشاي .

داعبت برقة شعره ورقبته .

رفع رأسه .

- لا ، لابد أن تعرفي كل شيء . إنه حتما ضروري . هزت "كاتي" رأسها :

- سنتحدث عنه فيما بعد .

- لا . الآن . ليس مجديا أن نبتعث هذه الذكريات كل يوم . في اللحظة التي تطأ فيها قدمك القرية سيسرعون إلى أن يحكوها لك بمزيد من التوسع والإفاضة . من الأفضل أن تعرفي أين تقفين ، أليس كذلك؟

- إنني لن استمع إلى الأقاويل والثرثرة يا "جابرييل" .

- إنها ليست ثرثرة . إنها الحقيقة . وافضل أن تسمعيها لأول مرة مني بدلا من أن تسمعيها من أي شخص آخر . الشائعات يمكن ألا تتخطى الحقيقة حتى في فظاعتها .

ساد الصمت . ابتلعت "كاتي" ريقها واستندت على الأريكة .

- لم يكتف "اندرا" بقتل الزوجين الشابين . لقد ضرب المرأة أولا قبل أن يغتصبها ثم قتل الاثنين و... مزق جسديهما إلى قطع . كل التفاصيل نشرت في الجرائد قبل أن يتم القبض على "اندرا" ويوضع في السجن . الرجل الذي اكتشف هذه المذبحة فزع تماما حتى إنه أخبر الصحافة مباشرة ليبرئ نفسه - إلى حد ما - من الرجس الذي شارك فيه رغما عنه . وظهرت الصور في مساء نفس اليوم بإحدى الجرائد اليومية .

شعرت "كاتي" بأن قلبها يترنح .

- هل نشرت في الجريدة التي يمتلكها والدي ؟

كان "مايك" صحفيا جيداً يعشق الحقيقة ولكن ليس إلى هذه الدرجة. لم تستطع "كاتي" أن تتخيل أنه أيضا ينشر هذه الأخبار المفزعة . إنه يفكر أولا في عائلات الضحايا وعائلة القاتل .

قال "جابرييل" محددا :

- لا ، في جريدة مسائية بالمدينة . أدانت الشرطة حادثة هروب "اندرا" بشدة ولكن أمر القبض عليه وصل متأخرا .

أغمضت "كاتي" عينيها .

- أوه يا "جابرييل" ! يا لها من قصة مؤثرة ومخيفة !

- لقد أقر الأطباء أن "اندرا" مجنون خطير قادر على القيام بسلسلة من جرائم القتل . من المحتمل ألا يطلقوا سراحه أبداً . لا يوجد شفاء من نوعية هذا المرض العقلي ، أليس كذلك ؟

- نعم ، أعتقد ذلك .

ترقرقت الدموع في عيني "كاتي" . حاولت أن تحبسها ولكن لآلئ شفافة كثيرة اجتازت الحاجز الهش لجفونها وسالت برقة على خديها.

جفف "جابرييل" هذه الدموع بظهر يده ، وقال متسائلا وهو متشكك:

- هل هذه الدموع من أجل "اندرا" ؟

- لا ، ليس من أجله . حقيقة ، لا أعرف . لم أفكر في حالته إلى حد ما . إن الذي ارتكبه فعل فاحش ولكن - كما قلت - فإنه لم يكن متحكما في نفسه . يقال : إن المجانين يرتكبون الجرائم مثلما يرتكبها العاقلون في أحلامهم . إنها أسطورة ، ولكن من يدري ؟

وساد الصمت .

قالت "كاتي" بصوت خافت :

www.elromancia.com

– لا ، انا افكر في الضحايا وعائلاتهم وخصوصا في امك المسكينة. فيك انت و"راشيل" .

لم يكن "اندرا" ابن "جراس فولار" ولكنها احبته دائما مثل طفليها الآخرين . شعر "جابرييل" وهو شاب انها تفضل "اندرا" و"راشيل" عليه ثم ياتي دوره بعد ذلك .

قال "جابرييل" مكررا :

– لقد عانينا جميعا هذه الحادثة المروعة ، لقد ارادت "راشيل" ان تفسخ خطبتها بـ"جراهام" ولكنه اصر على إتمام الزواج كما كان مقررا له سلفا . يعمل "جراهام" حارسا للغابات على شواطئ "كاليفورنيا" . عند رحيلها من هنا ابتعدت "راشيل" عن كل المنغصات بدءا من التلفاز وفضول الصحفيين وصحافة الفضائح والدعاية ويا لها من دعاية ! لقد كان هذا قاسيا وخصوصا على والدتي . لقد شعرت بالإثم على الرغم من ان كل الناس اخبروها بانه لا يمكن ان تكون هي المسؤولة عن افعال رجل فقد عقله .

لا ، لقد منحت "جراس" الحب للجميع . لم يكن هناك اي شيء يدعو حقيقة لتوجيه اللوم إليها . ولكن هذا لم يكن إحساس "جابرييل" . "جابرييل" الجبان الذي كان يمكنه ان يتجنب المذبحة إذا كانت لديه الشجاعة منذ عدة سنوات ليخبر امه والشرطة او اي شخص ان موت والده لم يكن حادثة كما يعتقد الجميع .

لقد شعر بالذنب لانه التزم الصمت وترك "اندرا" يعيش حياته بشكل طبيعي بالرغم من انه قاتل ... قاتل والده هو ، ولم يكن الوضع الحالي سيتغير في اي شيء . ربما دخل "اندرا" السجن ولكن الجدر التي تحيط بـ "جابرييل" تبدو عالية جدا ويصعب اجتيازها بخلاف تلك الجدر لمبنى حجري بسيط . إن نفسه محاصرة بهذا السر المخيف . لقد دفع ثمن صمته غاليا خوفا من السقوط في دوامة المعاملة السيئة

لاخيه غير الشقيق .

قال "جابرييل" :

– تمنيت انا و"راشيل" ان تغادر والدتي الوادي بعض الوقت ولكنها لم ترغب في الرحيل . نعم لقد كانت تجربة صعبة عليها .

– وانت ؟

– وعلي انا ايضا . لم يكن من السهل علي ان يلقبوني باخ القاتل . كل الناس كانوا ينظرون إلي نظرات ارتياب . كانوا يتساءلون : إذا كان نفس الجنون قد أصاب عقلي المسكين ؟

قالت "كاتي" ساخطة :

– لا يمكن لأحد ان يتصور مثل هذا الامر بالنسبة لك ! يعلم الجميع ان "اندرا" مختلف عنك . عندما كنتما غلامين كان الجميع يرثى لك ويعزونك في ان يكون لك اخ مكروه هكذا وطاغ ايضا ، وكانوا يعطونك ثمرة فاكهة من هنا وحلوى من هناك . لا يمكن ان ينسوا مثل هذه الاشياء .

– ربما .

– ليس امامك إلا ان تتركهم يتكلمون . إذا كنت قد تالمت لانهم يكررون هذه الاحداث مرارا فهذا لانك ...

ولم تكمل "كاتي" جملتها . بدا عليها الضيق لانها شردت بحديثها إلى بعيد .

– لانني اكرهه . أليس هذا ما تريدين قوله ؟ إنك مَحقة . لم اخف هذا الشعور ابداً على نفسي . ولكن تغير هذا – بشكل غريب – مع القضية والسجن . لم اشعر بمزيد من الكراهية ، بل شعرت بالشفقة عليه والندم الشديد . لم اغفر له ما فعل ولكنني اشعر بالحزن عليه كثيرا . كثيرا . هل تفهمين ؟

اذعنت "كاتي" لكلامه على مضض لانها احست ان "جابرييل" محطم

من داخله بسبب اخطاء أخيه غير الشقيق .

قال "جابرييل" مكملا حديثه :

- هناك شيء آخر . أتذكرين متى توفي أبي ؟

عبرت المرأة الشابة عن رأيها بانه لم يكن عمرها يتجاوز السادسة حينذاك ولكنها تتذكر جيداً أن "راشيل" حكت لها ان جراراً سحق والدها .

- كان والدي قد شعر بالشيخوخة ، واراد أن يهب "جراس" المزرعة حتى نرثها فيما بعد أنا و"راشيل" بنفس الطريقة دون أن نصرف مصاريف كثيرة . ولكنه لم يدرج "اندرا" في مشروعاته . لقد كانت فكرة سيئة لأنه الوحيد الذي رغب في البقاء بالبلد حتى يعتني بالمزرعة . كان "اندرا" يحب المزرعة واحب هذا الوادي . أتذكرين انه كان يبلغ السابعة عشرة في ذلك الوقت ولم يكف في اليوم الذي توفي فيه أبي عن قول : إن حياته بدأت أخيرا .

لا يمكنني أن أسامحه لأنه ظل يكرر هذا باستمرار .

نهض "جابرييل" وتجول في الحجرة مثل الأسد في عرينه .

- على أية حال لقد فهمته اليوم . لقد حاصرته المزرعة مثلما حاصرني البحر والرحلات . لقد أحب الوادي عن أي شيء في العالم مثلما أحببت البحر عن أي شيء آخر .

مرر "جابرييل" يده بعصبية في شعره ، واستولى الغضب عليه فجأة :

- بحق السماء ، إن فكرة تخيله وهو محبوس بين الجدر الأربعة تجعلني متضايقا ! لا يمكنني تحمل أن احبس بداخل الاقفاص حتى إن الأمر مخيف أيضا بالنسبة إلى الحيوانات ! ولكن عندما تفكرين في أن أشخاصا ... لماذا لا يقتلونه يا "كاتي" ؟ لماذا يعذبونه هكذا حتى نهاية أيامه ؟ لقد ارتكب - بالتأكيد - عملا فظيعا ولكن إذا كان كلبا

مسعورا لكانوا قضوا عليه وهذا كل ما في الأمر !

قالت المرأة الشابة دهشة :

- "جابرييل" !

قال ساخطا :

- اتفقنا ...

امتلأت عيناه بالدموع .

- هانت اطلعت على الأمر . انا من نوعية الأشخاص التي تتمنى أن يذهب أخوها إلى العالم الآخر ، تلك النوعية التي ..

- أوه ، لا ! لا يا عزيزي ، ارجوك !

ألقت "كاتي" بنفسها بين ذراعيه .

- اهدأ . لا تفكر كثيرا فيما حدث . إنك تسيء إلى نفسك من أجل لا شيء . إنه غير مجد .

احتضنها "جابرييل" وتقابل جسداهما .

- أوه يا "كاتي" لو تعرفين كيف كنت أفكر فيك طوال هذه المدة! لقد أحسست بالوحدة .

- وأنا هنا الآن ولا أنوي الرحيل .

مال بجسده ناحيتها وهو متعطش إلى الهدوء والجمال والحب واللذة . لقد افتقد كل هذه الأشياء طوال هذه السنين الأخيرة .

- لا يا "جابرييل" . لا أريد أن تحتضني أو أن تلمسني . إنني انتظر شيئا آخر منك . ليس أمامك إلا أن تمنحني إياه .

ساد بينهما صمت غريب وشاق ومدهش . كسر بكاء الطفلة - التي لابد أنها استيقظت حتما لأنها جوعانة - حاجز الصمت بينهما .

ابتسم "جابرييل" :

- أوه يا لها من لاعبة جيدة . استيقظت الطفلة الأخرى أيضا . ستوقظ الاثنتان المنزل كله .

www.elromancia.com

قالت "كاتي" مفسرة :

- إنهما في حجرة والدتك . أعتقد انه وقت الرضاعة .

أسرعت المراة الشابة نحو الثلاجة وأخرجت منها علبتين باردتين من البلاستيك .

- ساحاول أن أجرب هذا وإلا فستوقظان كل الناس ، وأغتنم هذه الفرصة لأنام انا الأخرى . إنها الثالثة صباحا وأنا مجهدة جداً .

قبلته على خديه .

- تصبح على خير يا "جابرييل" . عدني الا تحلم أحلاما مزعجة .

- أعدك . تصبحين على خير يا "كاتي" .

راقبها وهي تصعد درجات السلم ثم أطفا الأنوار ، ثم تمدد على الأريكة .

الفصل الخامس

- "جابرييل" ، هل انت نائم ؟

اعتدل "جابرييل" - الغارق في أفكاره بشكل فظيع - على الأريكة .

- لا .

أضاءت "كاتي" إحدى لمبات الصالون . ووضعت الطفلتين الرضيعتين المستيقظتين على الأريكة الخالية . توقفت الطفلتان المتعاونتان جداً عن البكاء حتى لا توقظا أصدقاءهما الصغار كما أوضحت لهما "كاتي" ذلك من خلال مداعباتها وقبلاتها .

قالت المراة الشابة مفسرة :

- إنهما لا تريدان تناول زجاجتي رضاعتيهما الباردتين . سأذهب لتسخينهما .

قال "جابرييل" مقترحا .

- ليس أمامك إلا أن تملئي الصحن بالماء الساخن . وفي خلال خمس دقائق سيقدم الطعام إلى الطفلتين الصغيرتين .

www.elromancia.com

ابتسمت "كاتي" ابتسامة يشوبها بعض الحزن :

- صحيح انه لديك من الخبرة في هذا المجال .

ثم اختفت "كاتي" في المطبخ . وعندما عادت مع الزجاجتين الساخنتين أخذ "انجيليكا" على ركبتيه . لقد كانت البنت الصغيرة تشبه الملاك . ولكن أفضل لحظة بالنسبة لها هي التي تتذوق فيها اللبن المليء بالڤيتامينات كما انها تحب الڤانيليا . ومن جانبها كانت "كاتي" تطعم الصغيرة "هايدي" . إنها أيضا تشعر بنفس السعادة . لا توجد اي مشكلة ولا حتى الخوف من عدم نومهما ، ولا يوجد ما يعكر متعتهما بتناول الطعام .

رفعت "كاتي" عينيها على "جابرييل" . لقد نعم مثلها بالهدوء المفرط الذي نشرته الطفلتان . ولكن "جابرييل" لم يستطع أن يمنع نفسه من بدء الهجوم :

- لست سعيدة إنهما تبكيان دائما ، اليس كذلك ؟

- نعم . لست سعيدة . لدي إحساس انهما كانتا تملكان بديهة خاصة بما قد يحدث بيننا في هذه اللحظة !

وضحكت من أعماق قلبها . لقد محت ضحكاتها الواضحة بقية التوتر الذي كان مازال مسيطرا على الحجرة .

- إن ما ذهب إليه عقلك ليس ما أريده منك يا "جابرييل" . ولكن هناك اشياء اخرى كثيرة بيننا نريد فك طلاسمها . إذا تركنا نفسينا نفعلان اي شيء فهذا سيفسد - حقيقة - كل شيء . يؤلمني أن أخبرك بهذا لانني ايضا عشت حياتي الخاصة ولكنك سببت لي آلاما كثيرة يا "جابرييل" . إنني لا أتحدث فقط عن المشاعر . ينبغي ان تعرف كل شيء مرة واحدة لانني أعرف ايضا ما سببه الترحال . ولكن لن يكون بيننا اي مغامرة عاطفية بسبب المتعة أو النشوة . إن ما يفعله الجسد في وقت بسيط تنساه الروح في سنين . وإذا كان الجرح عميقا جداً فلن

يشفى . انظر إلى ما حدث لـ"اندرا" . جريمة القتل نفسها لم تستغرق إلا وقتا بسيطا ، ولكنه سيبقى بالسجن طوال حياته ، حتى الأمور البسيطة والإصابات البسيطة في الجسم تلتئم في خلال ساعات . ولكن إذا دخلنا إلى مجال المشاعر فإنه يمكننا أن نكرر الحديث عنها بعض الوقت ، أما الأحاسيس فإننا نحس بها عشرات السنين . ربما نتوقف "انيت" عن الذهاب إلى المستشفى ذات يوم ولكنها ستذهب طوال حياتها إليها . أخشى أن أكون انانية . اعرف انك كنت في حاجة إلى من يؤنس وحدتك . ولكن من ناحية أخرى ... لكن تخيل أن كل شيء سقط في الماء . اعذرني ، لقد خدشت كرامتي قبل ذلك معك في كل مكان ، ولدي - في الحقيقة - تقديري الخاص .

ظل "جابرييل" صامتا فترة ثم قال :

- إنه أنت التي رحلت يا "كاتي" .

- إلى سنغافورة ، نعم . ولكنك لم تفعل أي شيء لكي تحتفظ بي .

- أعرف .

أعادت "كاتي" "هايدي" على ركبتيها . كانت البنت الصغيرة توشك أن تنام وهي تتناول لبنها .

قال لها مذكرا :

- كنت شابا .

شعرت "كاتي" بعيني "جابرييل" المصوبتين عليها . اكتشفت في مساء ذات يوم بـ"سنغافورة" انها ليست عذراء . كانت "كاتي" حينذاك في السابعة والعشرين من عمرها . ولكن المرأة الشابة شعرت بإحباطه وشبه غضبه يظهران مشاعر عميقة وغيظا رجوليا مبهما غير عادي .

- إنها انانية غريبة جداً لانني احبك . ولكن عندما رايتك ترحلين وانتني فكرة انه قد تنتظرينني مهما حدث .

- ولكنك عدلت عن هذه الفكرة .

- أعرف .

- إن هذا ليس لطيفا .

- لا . ولكنني ساكون صريحا معك للغاية يا "كاتي" . كنت أعرف دائما انه يمكنني أن أمتلك كل شيء : حياتي كشاب وحياة الترحال والمغامرات وحياتي معك عندما كان ينبغي أن أبدد شبابي بين الجدر الأربعة .

كشرت "كاتي" :

- أرى هذا . كم من الوقت سيستغرقه الفيلم الأخير ؟

- إنني لا أنظر إلى الأمور من منظور الوقت .. ببساطة عندما أفكر فيك فإنني أعرف انني ساعود إلى "كاتي مايك كوينجل" ذات يوم ... ربما في خلال سنتين ، خمس سنوات ، عشر سنوات. لم أطرح على نفسي هذا السؤال . لا يستند التاكيد على مثل هذه الاعتبارات .

انتهت البنتان الصغيرتان من تناول رضعتيهما . جففت "كاتي" فميهما بمنديل من الورق ، ثم أنامتهما في مكانيهما . أغلقت "هايدي" و"انجيليكا" عيونهما الصغيرة وراحتا في نوم عميق .

قال "جابرييل" وهو يحكي لها :

- ترددت بعد انتهاء عقدي في البحرية في التوقيع على عقد جديد مدة أربع سنوات قادمة . كنت حينذاك في المدرسة وذهبت لرؤيتك ، وطلبت تصريحا ومنحوني إجازة في نهاية الأسبوع . وفي هذا اليوم كنت تتزحلقين مع أصدقائك . لم أستطع أن أحدثك أو أن أنتظرك . كان ينبغي علي أن أعود إلى مكان عملي يوم الأحد في الساعة السادسة مساء . وأدركت في هذا المساء وأنا نائم على سريري كيف تسير الأمور من تلقاء نفسها دون أن يمكننا أن نجري عليها أي تغيير . وفي صباح اليوم التالي وقعت على عقد يستمر أربع سنوات قادمة .

وجدت "كاتي" صعوبة في تحمل موجات الحزن والأسى التي أثارتها

في قلبها قصة هذا الموعد الفائت .

قالت بعد مرور بعض الوقت :

- وإذا كنت قد رأيتني ؟

- لا أعرف ما كان سيحدث . أعتقد أنني لا أعرف تماما السبب الذي جعلني أرغب في رؤيتك . ربما كنت أنتظر إجابة منك. يحدث أحيانا أنه عندما ترين حادثة أو شخصا فإن القرار يفرض نفسه حينذاك بكل وضوح . لم أتوقع أي شيء محدد أخبرك به . الأمر ببساطة انه كان ينبغي علي أن أراك . لم أعرف سبب ذلك . ربما كنا سنقضي وقتنا في التحدث بالمقاهي والتجول في المتنزهات . أتذكر انه كان فصل الربيع . لا يهم مادام القدر لم يقرر بعد أن نقترب من بعضنا بعضا .

ترقرقت الدموع في عيني "كاتي" . كشفت طريقة وصف "جابرييل" عن رقة مشاعره ونفسه العميقة .

بالنسبة لها يعتبر حب "جابرييل" أمرا طبيعيا دائما مثل التنفس والنوم . منذ أن وصلت إلى العمر الذي تتاثر فيه بشاب لم تر "كاتي" غير "جابرييل" .

بالنسبة لـ"جابرييل" فإن الحب بينهما مثل الأمر الواقع أو الصاروخ الموجه لقلوب الجميع . إنه مثل الشجرة ... الشجرة التي تنمو ... التي ينبغي أن نتركها تنمو دون أن نامل هذا أو ذاك لأن الشجرة تنمو على إيقاعها الخاص . وسياتي اليوم الذي تجني فيه ثمار هذه الشجرة . في هذه الأونة كانا يعيشان في حقول القمح بالقرب من البحيرات المغطاة بالثلوج . و"جابرييل" كان يعرف أن الثمار ستظهر في يوم آخر . لا يمكنه أن يتعجل أي شيء . إن الحياة سخية مع الصابرين والذين يتعاملون معها بثقة وقلوبهم تسعد بما تمنحه الحياة لهم . و"جابرييل" لم يشك الحياة أبداً . يا لها من مناظر خلابة! يا لها من أجساد انثوية لا تنسى! يا لجمال السماء والبحر ! انتظار

www.eromancia.com

الثمار يا لها من طريقة مدهشة لعيش الحياة !

قال لها مختصرا بابتسامة بشوش :

- أريد فقط أن أعرف كيف حالك ؟

ردت "كاتي" وقلبها منقبض ويكاد أن يغشى عليها مثلما يحدث في مسرحية "ماريفو" .

- بخير حال .

- أتعرفين .. إنك لم تحتاجي أبداً إلى شخص بجانبك لمواجهة الحياة سواء أنا أو شخص آخر . يا لها من قوة !

انطفأت النار . ذهب "جابرييل" لإحضار بعض الحطب بينما ذهبت "كاتي" لإعداد الشراب .

لم يتبادل الاثنان أطراف الحديث مدة تكاد تصل إلى الساعة . أراحتهما طقطقة الموقد من القيام برحلة عبر الزمن حيث تجرهما الذكريات والحقيقة ؛ لقد هدأت أفكارهما بطمأنة قلبيهما .

ويبقى الحاضر الذي مازال يعذبهما والذي بدا على أطراف لسانيهما . لقد فرض نفسه على راحتهما ورغبتهما في النوم في هدوء .

قالت "كاتي" :

- حدثني عن زواجك .

ابتسم "جابرييل" . إنه لا يطلب إلا التحرر من هذه الأغلال التي مازالت "كاتي" تعاني قسوتها منذ مجيئها وحينما أعلمها بخبر زواجه في الليلة الأولى .

- زواجي يتلخص في "ريشارد" أو كما يناديه المقربون "ريكي" .

- لا أفهم شيئا مما قلته .

- إن زواجنا لم يهدف إلا لإنقاذ هذا الطفل . ينبغي علي أن أوضح لك الأمر .

قطبت "كاتي" حاجبيها . كان "جابرييل" عاجزا عن التحدث بسهولة . لابد أنه أحب زوجته وإلا لم يكن قد تزوجها . لأول مرة في هذه السهرة اعتقدت "كاتي" أنه يكذب عليها . شعرت بالضيق من هذا ولكنها لم تشأ أن تقول أي شيء وتركت له الفرصة .

سألته بصوت يائس :

- كم عمر هذا الولد ؟

- ثلاث سنوات .

تلقت "كاتي" الضربة . ثلاث سنوات ؟

هل يمكن أن يقابل "جابرييل" امرأة ويحبها وينجب منها طفلا في الشهرين التاليين للرحلة البحرية إلى "سنغافورة" ؟!

لا ، هذا مستحيل . لابد أنه قابلها قبل هذه الرحلة . ربما أحبها قبل ذلك عندما تواجدا على ظهر هذا المركب ؟

ربما قد تزوجها قبل ذلك ؟

لا ، هذا لا ينطبق على شخصية "جابرييل" . إن الوفاء يجري في دمه. وهذا يحسب له كثيرا .

- لقد تعرفت على "أنيت" عندما عدت إلى هنا بعد وقت بسيط من مقابلتنا الأخيرة في "سنغافورة" . يمكننا أن نقول : إننا تزوجنا بسبب جريمة "اندرا" . لم تتركني "أنيت" . لم نتبادل الحب. قررنا الانفصال فورا بعد ميلاد "ريكي" .

- ولكن ... لماذا ؟

- "أنيت" كانت الصديقة الصغيرة لـ"اندرا" . كانت تصطحبه دائما في كل مكان . لقد كانت حاملا وقت ارتكاب الجريمة . أرادت أن تجهض نفسها بعد القبض على "اندرا" ، لكنني أقنعتها بالزواج بي من أجل الطفل . "ريكي" ابن "اندرا" يا "كاتي" وليس ابني .

سألت المرأة الشابة وهي مذهولة مما سمعته والذي بدا لها قريبا

www.elromancia.com

من الحقيقة :

- متى حدث كل هذا ؟ اعني الجريمة والقضية وزواجك ؟

- منذ اقل من اربع سنوات . بعد مقابلتنا الاخيرة بالضبط كما اخبرتك .

نظرت "كاتي" في عينيه ولسان حالها يقول :

"إذا لم يكن قد حدث هذا فهل كنا سنضيع هذه السنوات الأربع الطويلة ؟" ادرك "جابرييل" ما تريد قوله بعينيها ولكن بماذا يستطيع ان يرد عليها ؟ علاوة على ذلك لقد قرر القدر ما حدث .

هناك ايضا المكالمة الهاتفية المزعجة التي طلبتها "جراس" بعد جريمة القتل فورا . كان لازما على "جابرييل" أن يقدم استقالته في الحال ، وكانت العودة الفظيعة إلى القرية .

- لقد تعرفت إذن على "آنيت" بمجرد عودتك إلى القرية لمساندة والدتك في كل ما مرت به .

- نعم . هذا ما حدث .

- وهل تزوجتها فور عودتك ؟

- لا . بل فكرت اولا عدة اسابيع . لقد تزوجنا في جو عائلي كنا بمفردنا مع القاضي في صالة الزواج . تم الطلاق أيضا في السر بعد ميلاد "ريكي" . يشك كثير من اهل القرية في الحقيقة ، ولكنني لم أهتم. إن "ريشارد" ولدي بحكم القانون بما انني كنت متزوجا بامه لحظة ميلاده . إنه ابني لأسباب أخرى كثيرة في الوقت الحاضر . والسبب الأول هو انني احبه يا "كاتي" .

استمعت المرأة الشابة إلى نهاية القصة - وهي مقتنعة - والدموع في عينيها .

واصل "جابرييل" حديثه :

- لم اشعر ابدا بـ"آنيت" . لم نتقاسم أي شيء حتى الحجرة ، ولم

نكد نتبادل بعض الكلمات ولكن بعيدا عن موضوع "ريشارد" . كنت اريد تماما ان يعيش وان يعرف ان والدته كانت متزوجة عندما ولد وانه يحمل اسم آل "فولار" واظن ان هذا حقه .

قالت "كاتي" بصوت صادق ومتاثر من شدة الانفعال :

- "ريكي" محظوظ لان يكون له اب مثلك .

شعر "جابرييل" ان حملا ثقيلا قد ازيح من على كتفيه . اضاءت ابتسامة مشرقة وجهه القاتم :

- هناك شيء مهم لم أخبرك به . لقد رفض "اندرا" بشدة ان يتزوج "آنيت" عندما علم انها حامل قبل جريمة القتل . لقد عانت "آنيت" كثيرا بسبب رفضه . ولكنها كانت واثقة ومتاكدة انها ستنجح في ان تجعله يغير رأيه .

قالت "كاتي" :

- إنني متلهفة للتعرف على "ريشارد" . هل تنوي إخفاء الحقيقة عنه أو ان تطلعه على الأمر لو اتيح لك ذلك ؟

- لا أعرف ربما عندما يصل إلى سن التفكير يرغب في فهم السبب الذي جعلني انفصل عن امه بسرعة هكذا . كل شيء سيبدا بالتاكيد حينذاك .

- هل تاتي "آنيت" في الغالب لترى ابنها ؟

- لا . ابدا . عندما تركت المزرعة قالت : إنها لن تعود إليها ابداً .

- لا افهم سبب ذلك . إن "ريكي" ابنها ، ابن الرجل الذي احبته.

- ابن تحاول ان تنساه بكافة الوسائل لأنه يذكرها كثيرا بذكريات مؤلمة . لا تنسي انها ارادت ان تجهض نفسها بعد جريمة القتل . لقد وجدت صعوبة كبيرة في إقناعها بالاحتفاظ بالطفل . لقد اثرت فيها هذه الحادثة بشكل فظيع . اعتقد انها لم ترد ان تنجب اطفالا ابداً وفضلت ان تنسى "ريشارد" لانها لا ترغب ان يعلم "اندرا" بزواجنا لكي

www.elromancia.com

تجنبه أي متاعب أخرى ، وخوفا من غضبه الذي سيكون عظيما .

هز "جابرييل" رأسه ثم قال مواصلا حديثه :

- هذه المرأة وفقا لرأي "جراس" قد أفادت "اندرا" جيداً :

لقد أثارت بداخله مشاعر لم يستطع أي شخص أن يجعله يشعر بها. لقد أصبح لطيفا في ظل وجودها وأقل حدة .

وجدت "كاتي" صعوبة في تخيل أنه يوجد شخص يشعر باي عطف إزاء شخص فظ وعنيف مثل "اندرا" . ولكن هذه الـ"أنيت" ربما كشفت عن وجهه الآخر .

- إنها لا تعيش هنا إذن ؟

- لا . إنها تقيم بالقرب من المستشفى وتقوم بزيارته كل أسبوع . أوه يا "كاتي" يا لها من شابة ! إن عمرها يقل عن عمره بـ عشرين عاما ، وقد حطم حياته بطيشه . كنت أحب الا تهتم به . في سن العشرين يمكن أن يمحى كل شيء بالتدريج . يمكن أن تبدأ الحياة في سن الثلاثين . كل شيء . ولكنها ترغب في البقاء إلى جانبه . إنها لا تفكر إلا فيه . أفضل لها أيضا أن تموت .

كان "جابرييل" ينظر إلى الأمور من ناحية أخرى .

- كنت أحب الا يعاني "ريكي" نفس المأساة ! وأمل الا يرث هو أو أنا خبل "اندرا" .

- أوه يا "جابرييل" ، لا تفكر في هذا . "اندرا" ليس أخاً شقيقا لك .

- ربما يكفي هذا بالنسبة لي . أما "ريكي" فهو ابنه . ولكني أمل أن تسير الأمور على خير ما يرام بالرغم من بعض الأحلام المزعجة . والشيء المؤكد أنني لن أقوم بجولة لدى الإخصائيين النفسيين بهذا الطفل . يبدو لي أن هذا من الأمور السيئة .

وساد الصمت . اعتقدت "كاتي" أنه لا يمكنها الإدلاء برأيها . لقد حاولت فقط أن تقنع "جابرييل" أنه ليست لديه الفرصة لأن يصبح

مجنونا ، وبالنسبة لـ"ريكي" فهناك عوامل خطورة مثل : الحب ، والتربية تلعب دورا أساسيا في هذا . الحب قادر على كل شيء .

- إنك محقة . كفى تحدثا عن الكوابيس . لو كنا نسيطر على أحلامنا ... ؟

أذعنت "كاتي" لكلامه . على الرغم من أنها ليست في عداد أحلام "جابرييل" إلا أنها ترغب في معرفتها .

- عندما يكبر "ريكي" بعض الشيء سنبيع المزرعة والأرض . سنغادر هذا الوادي إلى الأبد . تفكر "والدتي" كثيرا بجدية في الاستقرار في نفس الوادي الذي تقيم فيه "راشيل" . إن الاثنتين متفاهمتان ، و"جرهام" يعشق حماته ، و"جراس" مجنونة بالمحيط الهادي . يلزمها شقة مناسبة ولكن صغيرة حتى تقوم بأقل الأعمال المنزلية كما أنها تمتلك أموالا لا بأس بها . سنحتفظ بنصيب "اندرا" في البنك .

- وأنت ؟

- أنا ؟ سأشتري مركبا قويا ومريحا أعبر به كل محيطات وبحار الكرة الأرضية . سنقوم بجولة حول العالم مع "ريكي" .

- الرحيل ؟ الإبحار ؟ ولكن إلى أين ينتهي بك المطاف في النهاية يا "جابرييل" ؟

لم تستطع "كاتي" أن تمنع نفسها من اعتبار مصيرها غريبا جدا .

في الوقت الذي قررت فيه الاستقرار بالوادي والعمل به تجد "جابرييل" قد عزم على الرحيل لكي يجوب الكوكب كله . وهذه المرة بشكل نهائي ! أغمض "جابرييل" عينيه وأدار رأسه إلى الخلف .

- إلى أين ينتهي بي المطاف ؟ هل هذا من ضمن الحساب ؟ ربما جنوب المحيط الهادي في جزيرة بعيدة ، أو أقوم بتأسيس شركة تنظم رحلات بحرية ...

- ستبتعد إذن عن والدتك و"راشيل" ... وأصدقائك .

www.elromancia.com

- لن أجد صعوبة أبدا في إقامة علاقات صداقة في المكان الذي أتواجد فيه . ويمكنك أن تصطحبيني ، وتقومي بعمل تحقيقات صحفية على أهالي الجزر ...

ابتسم ابتسامة طفل صغير فرحان بليلة العيد .

- ربما تتصدر أخبارنا - أنا و"ريكي" - الصفحات الأولى في "ناشيونال چيوجرافيك" ؟ وتحكي فيها عن مغامراتنا البحرية وحياتنا المتحررة وسعادتنا .

ردت "كاتي" عليه بلهجة جافة :

- شكرا لاقتراحاتك ، ولكنني اعتقد أن مقالات كثيرة قد كتبت عن أهالي هذه الجزر والمغامرين ولا يوجد حقيقة أي شيء يضاف على ما قد قيل عنهم ، كما أنه ليست لدي الجراة لتقديم مثل هذا المشروع إلى رئيس التحرير .

فتح "جابرييل" عينيه وتفرس فيها بدهشة :

- "كاتي" ! هل أنت مستاءة ؟! لقد عرضت عليك فكرة مبتكرة في حد ذاتها . فكري في الفرصة المدهشة التي تتيح لك التجول حول العالم مع ولدين وسيمين وسليمين جسمانيا وذهنيا . إن "ريكي" فتى وسيم . وأنت ، هل أنت مستاءة ؟! إنه جنون !

كان "جابرييل" يتحدث بلهجة مازحة ولكن "كاتي" لاحظت وميضا من الحزن في نظراته . لقد أفهمها بابتسامة مع إشارة من يده أنه كان مجرد حلم وأنه سحب دعوته .

تلقت "كاتي" الضربة ثم فهمت أنه يرغب في تغيير موضوع الحديث، ثم سألته :

- هل يعلم "ريكي" بوجود "أنيت" ؟

- يعرف أن له أماً تدعى "أنيت" ولكن هذا لا يعني شيئا كبيراً بالنسبة له حتى الآن . ستختلف الأمور عندما يصل إلى سن يلاحظ

فيها أن الأطفال الآخرين لديهم أمهات يبحثن عنهم في المدرسة ويهتممن بهم في المنزل . ربما يطلب مني حينذاك أن تنضم إلينا أو أن يرغب في تركها .

وساد الصمت .

- أحب أن أجنبه هذا ، أجنبه أن يذهب إلى المدرسة مع الأولاد الصغار والبنات الصغيرات اللائي لديهن آباء وأمهات . سيعاني حينذاك أنه مختلف . من أجل هذا كله نسعى إلى الرحيل بعيدا عن هنا . سأعلمه ما أعرف . يوجد اليوم أنواع كثيرة من التعليم بالمراسلة على مستوى عال . سيستفيد هكذا من التعليم المحسن بمتابعة الطريق الطبيعي لزملائه وخصوصا في هذه المنطقة . وإذا أراد أن يكمل تعليمه العالي . فسنكون بعيدين عن هنا .

- "جابرييل" ، إنني منهكة وأرغب في الذهاب إلى النوم .

نهض "جابرييل" واقفا وطبع قبلة على خد "كاتي" وغطاها بمعطف "جراس" الذي وجده في خزانة الثياب بالردهة . ثم أطفا الأنوار ونام على الأريكة التي قضى عليها نصف الليل ليروي قصته إلى المراة التي أحبها .

* * *

كانت الساعة الخامسة صباحا ولكن "كاتي" لم تنم في الحال . لم تستطع - وجفناها مغمضان - أن تمنع نفسها من التفكير في قدرها الذي يعاندها .

إنها الآن تعيش بالقرية و"جابرييل" يوشك على الاختفاء من جديد في آخر بلاد العالم !

في هذه المرة إذا أراد حقيقة الرحيل فإنها ستجد وسيلة للاحتفاظ به . وإذا كان يتمسك بها حقيقة فإنه لن يذهب .

نامت "كاتي" وهذه الفكرة تدور في رأسها وعندما استيقظت لم يكن هناك أحد على الأريكة الأخرى .

هناك رائحة قهوة تنبعث من المطبخ المضاء . مازالت الظلمة موجودة ، لكن المطر توقف .

نهضت "كاتي" بسرعة ودخلت الحمام . من الأحسن أن تأخذ دشها قبل استيقاظ الأطفال بدلا من أن تضيع وقتها .

وبمجرد أن انتهت من ماكياجها فتحت صنبور الماء البارد . لقد كان الليل قصيرا والاستيقاظ كان صعبا .

ارتدت في الحال ملابس "جراس" . وعلى الرغم من شكلها البالي والوانها الغامقة إلا أنها لم تجعل شكل "كاتي" قبيحا . بل على العكس لقد اظهرت حيوية جسدها وجمالها ونظراتها حتى بعد ساعات النوم الخاطفة .

استقبلها "جابرييل" بابتسامة مشرقة عندما دخلت إلى المطبخ . كان هناك بعض الزرقة حول عينيه ولكنه سيزول بمرور الوقت .

دهشت "كاتي" - عندما رأته هكذا - من جراء الإغراء الذي لا يقاوم الذي يمارسه عليها .

قدمت اعتذارها - تحت تاثير سحره - عن كلامها في ليلة البارحة . لا للمغامرات بالتاكيد .

ولكن قلبها قد اختلج من فرط النشوة عندما رأته والصابون على ذقنه .

- صباح الخير .

- صباح الخير .

واحتضن كل منهما الآخر كما لو كان يذكر كل منهما الآخر أنهما عاقلان . الم يتاثر قلباهما من العناق منذ المراهقة ؟ لماذا يتم تاجيل كل شيء إلى الغد ؟ الحياة في الوقت الحاضر تحتفظ ايضا بملذاتها .

فهما يعرفان انهما لن ينسيا أبدا هذا الصباح بسبب التعب وزرقة العين وبسبب القبلة على الخد ورائحة القهوة التي تلعب بالراس .

مد "جابرييل" قدحا ساخنا إلى "كاتي" . وجلس كل منهما بمواجهة الآخر إلى المنضدة الكبيرة المصنوعة من الصنوبر والمغطاة بالحرير المربع بمربعات حمراء صغيرة .

قال لها "جابرييل" محذرا :

- انصحك بأن تضعي سكرا كثيرا عليها .

تعجبت "كاتي" قبل أن تغرز أسنانها الجميلة في فطيرة كبيرة مغطاة بالزبد ومربى المشمش .

- يجدر بنا أن ننام على الأقل ساعة إضافية قبل ان يستيقظ الأطفال.

علق "جابرييل" على حديثها ببساطة :

- ستصل الهليوكوبتر إلى هنا بين لحظة واخرى .

شعرت "كاتي" بالضيق لفكرة انه سيترك المنزل . لقد تصورت أن هذا اليوم يشبه إلى حد ما يوم الأحد وانهما سيعتنيان بالأطفال معا . ولكن لا ، لقد ارتدى ملابس عملية الإنقاذ .

قالت المراة الشابة معترضة :

- ولكنها لا تمطر كثيرا .

- هنا ليس كثيرا . ولكنها مازالت تهطل بشدة على المرتفعات . إنه مطر مدرار . إنه مشهد مذهل بالنسبة للأطفال . ولكن يجدر بنا أن نتوقع ما قد يحدث اليوم إنه امر حتمي .

- أعتقد أن الناس هنا يعرفون جيدا قراءة السماء وتفسير شكل المرتفعات عن الإخصائيين في الأرصاد الجوية ؟

- إنهم يعرفون أن النهر اصبح سيلا وانه ينبغي إذن أن نحترس من أهوائه ، ولكنهم لا يقدرون على تخيل مثل هذا الفيضان . إنها

www.elromancia.com

أمطار غزيرة غير معتاد عليها بالفعل . لم أسجل في ذاكرتي انني رايت فصل ربيع مثل هذا !

سالت "كاتي" :

- في اي يوم نكون ؟

- الحادي عشر من مايو . لماذا ؟

- لم اعد اتذكر اي شيء كثيرا . لقد فقدت الإحساس بالوقت منذ أن جئت إلى هنا .

اخذ "جابرييل" وجه "كاتي" بين يديه :

- اتعرفين انني سعيد اننا تحدثنا عن كل هذه الأشياء في هذه الليلة ؟

- نعم ، وانا كذلك على الرغم من اقتراحاتك الساخرة من أجل "ناشيونال جيوجرافيك" !

اقترب صوت الطائرة من مسامعهما . انهى "جابرييل" قدح قهوته .

- إن قصة السفينة هذه من أحلام اليقظة ولكنني أعتبر هذه الليلة جميلة . يقال : إن الأحلام التي نؤمن بها حقيقة تتحقق في يوم ما .

اصطحبته "كاتي" حتى الباب وساعدته في تكملة ارتداء ملابسه . جذبها "جابرييل" ناحيته بمودة .

- اوه يا "كاتي" ! يسودني انطباع انك عانيت منذ البداية . لدي طريقة لرؤية الأشياء بمنظور آخر . لو عرفته ! سامحيني .

- لقد قلت لك : إنني لا أحقد عليك ، كما أنني قد قررت انا ايضا أن أرى الحياة باللون الوردي . إنها مسالة اختلاف شخصيات .

- كنت احب ان احتفظ بك هنا فترة طويلة . ربما أجد القوة لأن أظل بالقرية إذا قبلت أن تقاسميني سجني ....

- اوه ، يا "جابرييل" ...

وضع اصبعيه على شفتي صديقته :

- لا تقولي اي شيء . مازالت هناك أشياء لا تعرفينها ، اشياء ينبغي أن أخبرك بها . ولكن ليس لدي الوقت لأن احدثك عنها الآن.

- "جابرييل" يبدو أنك لا تؤمن بالأحلام التي تتحقق بقوة الإرادة . انا أؤمن بها ولكنني لم اكلمك بعد عن أحلامي ولدي النية أن اجعلها احلاماً واقعية ومحسوسة مثل هذه الجبال التي نراها باعيننا .

- كم أحب أن أعرفها يا "كاتي" ! هل يمكننا ان نقوم بجولة بسيطة فيها من وقت لآخر ؟

- سنفعل فيها ما يحلو لنا . إنها احلام الحب والهدوء والسعادة. نعرف أن ...

وهبطت الهليوكوبتر .

- اعتقد أن واجبنا الوحيد في هذا العالم هو أن نكون سعيدين.

- إنه ملاكي الحارس الذي همس في اذني بهذا ذات يوم ؛ في يوم شعرت فيه بالملل .

- اوه يا "كاتي" ...

فتحت المراة الشابة الباب واصطحبت "جابرييل" نحو الطائرة . وفي الطريق قابلا الصغير "هانز" وهو يمسك بفخر إناءين من اللبن الطازج في كلتا يديه .

قال "هانز" بابتسامة مشرقة :

- صباح الخير ! صباح الخير !

رد كل من "جابرييل" و"كاتي" :

- صباح الخير يا "هانز" ! صباح الخير !

انفجر كل منهما في الضحك . لقد طلع النهار والزرقة تغطي السماء. عادت "كاتي" مع "هانز" وهي تمسكه من يده متاثرة جداً حتى كادت تبكي . اقلعت الطائرة . لقد كانت بداية هذا اليوم طيبة .

كانت المراة الشابة تفكر في انه قد ينتهي هذا اليوم بتجديد العواطف بينهما .

الفصل السادس

عادت الهليوكوبتر في المساء بدون "جابرييل" .

اعاد الطيار "كيڤين" الأطفال إلى منازلهم على رحلتين مؤكدا أن الفيضان لم يمس المنازل . إن الأراضي فقط هي التي لحقت بها الخسائر وظلت القرى في مامن وذلك بفضل السدود . عندما عاد "كيڤين" بالطائرة فارغة ابطل محركها وترك الكبينة ثم توجه نحو "كاتي" التي سعت إلى مقابلته .

قال لها برقة :

- لقد طلب مني "جابرييل" أن أحلب البقرتين . إنه لا يعرف متى سيعود بالضبط . لقد انزلته على الجانب الآخر من الوادي عند "چانيت" . بالمناسبة إنها المرأة التي تعتني بـ"ريكي" . إنه يرغب في قضاء بعض الوقت مع ابنه . ألم يخبرك ؟

- نعم ، ولكنه ربما لم يكن قد فكر في الذهاب إليه عندما رحل في هذا الصباح . قل لي يا "كيڤين" : هل أصبح ممكنا الآن النزول إلى

القرية عبر الطريق أم أن منسوب الماء مازال مرتفعا ؟ لقد حاولت في اليوم الأول ولكنني لم أنجح .

- لماذا فعلت هذا ؟ كنت سأشعر بالسعادة إذا كنت قد طلبت مني أن انزلك إلى القرية قبل أن نبدأ عملنا ولكن "جابرييل" اخبرني أنك ترغبين في الراحة من أحداث ليلة البارحة قبل أن تقومي بزيارة والدك . "مايك" معروف في القرية ! إنه رجل طيب . لقد فهمت أنك متعجلة لرؤيته .

- نعم ولكن ...

عضت "كاتي" على شفتها .

- كنت أعتقد أن الهليوكوبتر مخصصة فقط لعمليات الإنقاذ وأنه لديك أعمال أفضل من أن تنزلني إلى بيتي .

أحست "كاتي" بغضب شديد يكسوها إزاء "جابرييل" لأنه كذب عليها، وفي نفس الوقت شعرت بالاضطراب تماما بسبب غيابه لأنها كانت تنتظره بفارغ الصبر طوال اليوم كله بسبب مناقشتهما بالليل والطريقة التي ترك بها كل منهما الآخر في هذا الصباح .

مرة أخرى توارى "جابرييل" . مرة أخرى شعرت "كاتي" بالعالم ينهار من حولها .

ولكيلا تترك نفسها تغرق في ظلمات الحزن ركزت تفكيرها على فكرة انها ستصل إلى "مايك" عما قريب . إنها لم تر والدها منذ عيد رأس السنة الذي احتفلا به في "بورابورا" حيث قضيا هناك شهر إجازة معا.

قال "كيڤين" عندما عاد من الحظيرة بوعاءين مملوءين باللبن :

- لاحظي أن الأمر رائع جداً لأن تبقي هنا . من الضروري أن نضع هؤلاء الأطفال بمكان امن واعتقد أن هذا غير ممكن في ظل عدم وجودك...

صب "كيڤين" اللبن في وعاءين كبيرين من الزجاج كانت "كاتي" قد

www.elromancia.com

غسلتهما .

- يمكنني أن أخبرك أن الأطفال يعشقون إقامتهم هنا . أعتقد أنهم سيحتفظون بذكريات طيبة عنها .

وضعت "كاتي" زجاجات اللبن في الثلاجة :

- نعم ما حدث . ساكون مسروراً أن أؤدي لك خدمة .

جمعت المرأة الشابة حاجاتها ثم حملت الحقيبة المحتوية على آلة التصوير الثمينة على كتفها ثم قالت :

- حسنا ، أنا مستعدة .

خرجت "كاتي" أولا .

جعلت شمس ما بعد الظهر العشب المبلل متلألئا . أغلق "كيڤين" الباب خلفه وتبعها بخطوات واسعة .

- هل أنت متأكدة أنك لا تريدين حقا انتظار "جابرييل" ؟ أعتقد أنه متاكد تماما من وجودك هنا بالمزرعة لدى عودته سيصاب بالإحباط ...

ردت "كاتي" عليه وهي تبتسم توضح قرارها :

- شكرا يا "كيڤين" ولكنني أفضل النزول إلى القرية .

صعد الاثنان إلى الطائرة دون أن يتبادلا أي كلمات أخرى . وارتفعت الطائرة بسرعة في الأجواء .

يمكن تقدير مدى المأساة من فوق السماء . لقد انخفضت المياه لأن سحب الماء شوه أغلبية المباني والمنازل . وفي أماكن أخرى وصل منسوب ارتفاع المياه إلى الأسطح .

لقد انهارت مبان أخرى تماما بفعل قوة التيار . أما المباني المشيدة في منتصف القرية فقد ظلت بمامن .

لقد سدت الأشجار الضخمة التي اقتلعت من مكانها - مثل الزهور - الشوارع . لقد كان النهر هائجا على غير عادته . ولقد بدا كثير من الأشجار و أجزاء من الإسطبلات والمنازل مثل الجزر التي ظهرت

فجاة.

ركن "كيڤين" سيارته بالقرب من المكان الذي هبط فيه بالطائرة . لم يكن يلزمه إلا بضع دقائق ليوصل المرأة الشابة إلى منزل "مايك" .

وجهت "كاتي" له الشكر بحرارة ، وأغلقت - بعد أن نزلت من السيارة التي اختفت في وسط القرية - الباب وراءها . ظلت فترة طويلة هناك مستندة إلى شاحنة "مايك" في محاولة منها أن تهدئ نفسها .

# # #

لقد حل الليل ، وبعض النجوم تتلألأ في منتصف السماء الزرقاء ولقد تحول غضب "جابرييل" إلى شعور بالخيبة . بعد كل ما عزما عليه في أثناء محادثتهما في هذه الليلة وبعد الطريقة التي ودع بها كل منهما الآخر في هذا الصباح شعر "جابرييل" بالحاجة إلى التقهقر في الوقت الذي كانت فيه "كاتي" تنتظره على أحر من الجمر وقلبها منقبض وهي تحسب الساعات التي تبعدها حتى عودته . إنه هكذا إذن ، إنه لم يتغير أبداً .

عندما قربت الظروف والأحداث بينهما أخيراً ظهرت لديه الرغبة في الهرب بطريقة أو بأخرى . شعرت "كاتي" بالحزن والإحباط . لقد بدأت هي أيضا تشك في الأحلام التي تتحقق بقوة الإرادة فقط .

ضبطت "كاتي" - وهي تهز رأسها - حزام حقيبتها على كتفيها . ثم قطعت عدة خطوات لتصل في النهاية إلى منزل أبيها .

طرقت الباب ثلاث طرقات وفتحت الباب دون أن تنتظر الرد وهي تمرر وجهها الصغير في فتحة الباب .

ألقى "مايك" - الجالس أمام منضدة الطعام ، أمام طبق مدخن غير واضح ما به - نظرة دهشة من أعلى كتفه . من يمكنه أن يسمح لنفسه بالدخول هكذا عنده دون أن ينتظر أن يذهب ليفتح له؟

- برقت عيناه خلف نظارته من هذه المفاجاة اللطيفة ، وابتسم كما

www.elromancia.com

لو كان الحب الخالص نفذ إلى منزله بنفسه .

نهض "مايك" من على كرسيه ، وقبل أن يتقدم نحو ابنته رفع نظارته باعلى انفه .

- "كاثرينا" ! "كاتي" ! ابنتي ! بحق السماء ماذا تفعلين في هذه الأرض الموحشة ؟ هل رأيت ؟ لقد هاجمنا الفيضان .

انفجرت "كاتي" في الضحك وهي تلقي بنفسها بين ذراعي والدها العطوف وانفجر هو الآخر بدوره في الضحك . ولكن بدا أن الاثنين لديهما الرغبة في البكاء .

إنه دائما نفس الإحساس عندما يلتقيان بعد شهور طويلة من الفراق . وعلى الرغم من سعادتها إلا أن دموعاً فياضة سالت على خدي "كاتي".

- ماذا حدث لك يا "كاثرينا" ؟

أخرج "مايك" منديلا أحمر من الجيب الأيمن لبنطلونه القطيفة ، ومسح برقة اللآلئ الشفافة التي مازالت تنسكب من عيني "كاتي" .

- لقد اخبرتك قبل ذلك انه يوجد فيضان عندنا .

- أوه يا "مايك" ...

لقد توقعت "كاتي" أن تكون هادئة وتخبره بامورها وأن تتكشف طبيعة الأرض وأن تبدو واثقة بنفسها . ولكن حالتها النفسية جعلتها تلقي بنفسها على صدر والدها والدموع والضحكات قد اختلط بعضها ببعض في لحظة الالتقاء المأمولة هذه .

- أوه يا والدي ، لقد قررت الاستقرار معك هنا . بالمنزل ! أرغب في العيش هنا الآن . لقد رأيت العالم باكمله . إنني في احتياج إلى الراحة والرجوع إلى جذوري . امنحني عملا بالجريدة لو سمحت !

فهذا سيتيح لي الاستقرار وساخذ شقة او منزلا ... لا أعرف . فلن أسكن هناك إلا بعض الوقت . لا أريد أن أفرض نفسي عليك كثيرا .

ذهل "مايك" وقال ممتقعا :

- وظيفة ؟

نظر إلى عيني "كاتي" ليتاكد من جديتها ، وقال مكررا بدهشة :

- وظيفة !

- لو سمحت يا "مايك" ! كنت تقول لي دائما : إنه إذا أردت العمل معك بالجريدة فلا توجد اي مشكلة . وحينذاك قلت ... أخيرا وافقت . اليس كذلك ؟

هز "مايك" راسه بدهشة :

- بالتاكيد لا توجد أي مشكلة يا عزيزتي !

طقطق اصابعه وهو يتحدث :

- ولكن ... يا "كاتي" ... يا ملاكي لا يمكنني ان اعرض عليك العمل معي . هذا مستحيل .

- ولكن ... لماذا ؟

أطلق "مايك" تنهيدة طويلة :

- لأنني لست مالكا للجريدة .

- ماذا ؟

شعرت "كاتي" بالحاجة إلى الجلوس على كرسي .

- ماذا تريد قوله يا والدي ؟ ألست مالكا للجريدة ؟ ولكن لماذا ؟ أليك مشكلة ؟ هل كنت مريضا ؟ ماذا حدث ؟

- ببساطة لقد بعتها يا عزيزتي . أنا ... لم اكن اتصور انك سترغبين في الاستقرار هنا . بصراحة يا "كاتي" لم أتخيل انه يمكنك أن تتخذي مثل هذا القرار . ستعرفين السبب وكيف حدث هذا ، وفي نهاية الأمر سيصيبني الحزن يا عزيزتي . ولكن بحق السماء لماذا قفزت إلى ذهنك فكرة العمل هنا ؟ لم أستطع أن افهم...

بدا "مايك" قلقا جداً .

(٦)

www.elromancia.com

- ربما تمرين بوقت عصيب ؟ ربما لم تكن التحقيقات جيدة ؟ إذا كانت هناك ضائقة مالية فانا ...

- لا يا والدي ، الأمور بشان ما تتحدث عنه تسير على خير ما يرام. لقد قمت بتحقيقات مؤثرة ولم اجد اي صعوبة في بيعها بسعر معقول. إنها ليست مشكلة مالية . ولست في حاجة إلى اي عمل هنا .

وفجاة ادركت كيف شحب وجهها ، إلى اي درجة .

- اجلس يا والدي وانته من طعامك . سنكمل حديثنا فيما بعد .

هز "مايك" راسه ووضع طبقه في حوض المطبخ وهو يبدو مشمئزا ، ثم قال :

- لست جوعان يا "كاتي" أيمكن أن تفسري لي سبب قرارك بالعودة إلى هنا ؟ هل يوجد اي شيء من الماضي ؟ منذ عشر سنين او اثنتي عشرة سنة حاولت معك بكافة الطرق ان تبقي بالوادي .

سعلت "كاتي" .

- لقد عدت قبل ذلك عدة مرات .

- نعم ، يوما او يومين او اسبوعا على اقصى حد .

- لقد تغير الحال يا والدي . ففي وقت ما قلت لي : إنك كنت ترغب في القيام برحلة عدة أسابيع مرتين على الأقل في السنة او شيء من هذا القبيل لكنك في ذات الوقت فكرت في أن هذا يمنح "موريان" الفرصة لإضفاء قليل من شخصيته على الجريدة..

عضت "كاتي" على شفتها وهي تفكر في ذراع والدها الأيمن، ذلك الرجل الهادئ الذي يكتب باسلوب شيق لا يقارن. إنه خير صحفي قادر على وصف الربيع مما يجعل الدموع تسيل من العيون.

قالت المراة الشابة:

- يا لـ"موريان" المسكين! ماذا اصبح بعد بيع الجريدة؟

- "موريان" يعمل لدى اصحابها الجدد. وانا ايضا من حين لآخر،

حتى يمسكوا مقاليد الإدارة في أيديهم. لقد استقروا هنا منذ اقل من ستة أسابيع. اعتقد انه بمساعدة "موريان" ونصائحه الغالية سيتوصلون إلى اداء عمل جيد. إنهم كتاب شباب ومتحمسون، مثلما كان حالي وحال والدتك عندما بدانا.

بدت "كاتي" فجاة حزينة بشكل فظيع.

قال "مايك":

- انا حزين يا عزيزتي. كان ينبغي علي ان اطلعك على ما حدث منذ وقت طويل. ولكني لو فعلت ذلك لبدت الأمور فظة. وكنت في حاجة إلى فترة استراحة لكي تختمر فكرة انني سافقد الجريدة حتى لو استمررت في إدارتها ومن ثم كنت في امس الحاجة إلى ان اقنع نفسي بان كل شيء على خير ما يرام.

- وهل نجحت يا والدي؟

نظرت "كاتي" في عينيه ثم واصلت حديثها:

- ليس فقدان الجريدة فقط الذي احزنك ولكنني اشعر ان هناك شيئا آخر. نعم انا متاكدة من ذلك. او انك لم تبعها . إنني اعرفك.

خفض "مايك" عينيه. وجلس امام ابنته وبدا يدق باطراف اصابعه الغليظة على المنضدة.

انتظرت "كاتي" بلهفة وبفراغ صبر والقلق يعتريها. ولكن بلا فائدة

- تحدث يا والدي، لو سمحت! تتذكر انني قلت لك : إنني لا اراك في حالة جيدة في عيد راس السنة. ورددت علي بانه تعب فصل الشتاء وكنت حمقاء لدرجة انني صدقت ما اخبرتني به. ولكن لهجتك في خطاباتك قد تغيرت قبل هذا بعدة اشهر. لقد شعرت بهذا فور حدوثه..

لم تستطع "كاتي" ان تخفي شعورها المفاجئ بالضيق.

- هل انت مريض يا والدي؟ هذا هو السبب.

اعتدل "مايك" في مكانه وبرقت عيناه :

www.elromancia.com

- لست مريضا يا "كاتي". اقسم لك. انا دائما قوي وفي كامل لياقتي. بالإضافة إلى أن هذا قد يستمر مع الحياة التي اعيشها عدة سنوات وربما اكثر من ذلك إذا اراد الله. إنني اتمتع بصحة جيدة في سن السابعة والخمسين. يمكنك ان تطمئني بخصوص هذه النقطة.

تفحصته "كاتي" بنظرة عميقة. فقد كانت عيناها الخضراوان تبحثان عن الحقيقة.

- اتفقنا، لست مريضا ! ولكن هناك شيئا ما. اخبرني ما هو! بدا "مايك" معاندا وعازما على الا يطلع ابنته على اسرار حياته الخاصة. وتصلبت قسمات وجهه بشكل فظيع. ولكن "كاتي" لا تنوي أن تتركه . كانت ترغب في معرفة ما قد حدث. إنه امر حيوي بالنسبة لها.

- أعرف يا والدي انني ربما ساقلق كثيرا بشان موضوعك، عندما احس أن الأمور تسير على خير ما يرام. ولكن لا يمكنني ان اتحمل رؤيتك وانت تعاني. ومن ثم لدي اعتقاد دائما بانه يمكنني فعل اي شيء . أرجوك فسر لي سبب بيعك للجريدة.

أطلق "مايك" تنهيدة كبيرة ثم تبعتها ابتسامة مبهمة وقال في نفسه: "إنه لا يمكن ان تخفي شيئا عمن من يحبونك".

قال مستسلما:

- حسنا.

نهض واقفا ثم توجه نحو البوفيه واخرج منه كاسين من الكريستال، وضع في إحدى الكاسين قطعا من الثلج ولم يضع في الكاس الأخرى اي شيء. ثم توجه نحو دولاب اخر واخذ زجاجة الشراب وملأ الكاس الفارغة حتى آخرها والكاس المحتوية على الثلج حتى نصفها وناولها "كاتي" ثم جلس إلى المنضدة بعدما وضع الكاس الاخرى امامه.

شربت "كاتي" معه ونظرت إلى منسوب كاس والدها.

لقد باتت لحظة الإثارة والتشويق لا تطاق.

أخذت يد والدها القوية بين يديها وسالته:

- هل الموضوع جد خطير؟

- ستصيبك المفاجاة مما ستعلمينه..

زفرت "كاتي" زفرة قصيرة. إنه لم يرد بكلمة "نعم" على سؤالها.

- نعم، إنه خطير بطريقة معينة! ها هو الموضوع : منذ سنوات - وبالمناسبة حدث هذا منذ وقت طويل ومن ثم لا أستطيع أن اخبرك متى حدث بالضبط - احببت امراة تعيش بالقرية هنا. وحاولت دائما إقناع هذه المراة بالزواج بي مهما كانت نتائج هذا الزواج. ولكنني تمسكت بوعدها لانني أعرف انها لن تخلف وعدها، واننا سنتزوج ذات يوم، وانتهى الأمر بقبولها الزواج ...

ثم رشف رشفة اخرى من الشراب. وكانت هناك دموع توشك أن تسقط من عينيه المتيقظتين.

- ثم ارتكبت منذ ثلاث او اربع سنوات خطا لم تستطع أن تسامحني عليه ابدا. ولكنني احتفظت بالأمل في انها ستتفهم الأمر وتغير رأيها وتسامحني.

- ولم تسامحك؟

- نعم. واخيرا لم اعلم عنها اي شيء. ربما كان ينبغي علي أن انتظر اكثر من ذلك. ولكن بعد كل ما رأيناه وفقدان رؤيتها فترة طويلة جاءت النهاية الفظيعة لقصتنا.... باختصار بعت الجريدة منذ خمسة شهور .

سمعت "كاتي" صوت والدها يتكسر في آخر كلمة . من غير المعقول أن يعرض الجريدة إلى البيع وقلبه ينعم بالسعادة . ندمت "كاتي" على انها لم تنتبه إلى ذلك . لقد شعرت بان هناك شيئا على غير ما يرام منذ عدة أشهر .

www.elromancia.com

- وما وجه العلاقة بين هذه المرأة وبيع الجريدة يا والدي ؟

- لا يوجد ثمة علاقة يا "كاتي" . ولكنني لم أستطع أن أقابلها بالقرية و... أعرف أنها لن تكون زوجتي أبداً . كنت قد قررت الاستقرار في مكان آخر وبدء حياة جديدة..

قالت "كاتي" بتاوه:

- أوه يا والدي! جريدتك، كنت تحبها كثيرا!

- نعم، فحياتي بدونها ليست لها أي معنى. ثم عرفت أنها تعاني هي الأخرى وجودي بالقرب منها. أؤكد لك يا ملاكي أنه لم يكن يوجد حقيقة أي حل آخر.

- ولكن ماذا فعلت لها؟ هل أخطأت في حقها؟

- لا. كنت مضطرا إلى تسليم ابنها إلى الشرطة. لم تسامحني الأم على فعل هذا الشيء. كان ابنها قاتلا. وهو رجل خطير لا ينبغي أن يترك ليتجول بحرية في الطرقات كما كانت هذه حالته منذ سنوات. ارتكبت جريمة بشعة في القرية منذ أقل من أربع سنوات. لم أكن متأكدا من أنه مرتكبها ولكنني مع ذلك أبلغت الشرطة. لقد شاهدته يتسلق ناحية الشرق وقت ارتكاب الجريمة، ووجدت الشرطة بصماته في كل مكان تقريبا. وظهر شاهد آخر في أعقاب ذلك ولكنني كنت الشاهد الأول الذي كشفه.

تعجبت "كاتي" بدهشة:

- "اندرا"! "جراس"! رأيت "جراس فولار" يا أبي!

- إنها كلمة باهتة وعديمة الطعم لوصف علاقتنا يا عزيزتي. لقد بدأنا نرى بعضنا بعضا.. تقريبا بعد سنتين من وفاة زوجها "مات".

بالتأكيد - أنتم الأطفال - لم تعلموا بهذا الأمر أبدا..

هكذا إذن لم يستطيعوا أن يتبينوا أي شيء! "كاتي" - على الأقل - لم ترتب في أي شيء أبدا. و"راشيل"؟ إنها كذلك أيضا. كانت "راشيل"

ستخبرها فور علمها بالأمر على الأقل في الوقت الذي كانتا فيه صديقتين. أما "جابرييل" فإذا كان يعلم بالسر فإنه لم يكن ليعلمها به أبدا.

- ولكن لماذا لم تتزوجا بعد أن قبلت "جراس" عرضك؟ هل كنتما تخشيان أن نعارض هذا الزواج؟

- لا. لقد أخبرتك أن الأهم بالنسبة لي هو أن أعرف أننا سنصبح زوجين ذات يوم. لم نكن متعجلين. كان كل واحد منا - أنا و"جراس" - شغوفا بالآخر. وللحق أقول : إننا لم نفترق عن بعضنا بعضا. لم يكن هناك ما يحول دون إتمام هذا الزواج. لقد فكرنا كثيرا في أطفالنا .

قالت "كاتي" - التي لم تبال بأنها خدعت مثل "راشيل" في أن تكون هناك علاقة بين والدها و"جراس فولار" - بإصرار:

- ولكن كان لابد أن تتزوجا.

رفع "مايك" رأسه. لم يكن وجهه إلا قناعا يشير إلى المعاناة.

- وأضعك أنت و"جابرييل" في نفس المنزل؟!

هز رأسه:

- لم نستطع أن نخاطر ونجعلك تعيسة. لقد بدأت عيناك تتجهان صوب هذا الولد وأنت في سن الثانية عشرة.

قالت "كاتي" ساخطة:

- هذا ليس صحيحا! ربما في الخامسة عشرة..

- في الخامسة عشرة تأتي مغريات أخرى تضاعف اهتمامك. ولكنك كنت تحبين "جابرييل" قبلها. لم نكن نريد أن نرغمكما على المعيشة معا تحت نفس السقف، كما أنه يوجد أيضا "اندرا". لقد كان يقلقني. لكنني لم أتناقش مع "جراس" بشأنه قبل جريمة القتل لم يكن هذا ممكنا . ومع ذلك لم أثق أبدا بهذا الولد. لم أكن أرغب في أن تقيمي معه بنفس المنزل. كنت أعرف أنه يخيفك.

كانت هذه مشكلة بالنسبة لي عندما فكرت في زواجنا.

- ولكن فيما بعد؟ عندما كبرنا وتركنا الوادي؟

- بقيت "راشيل" . "جراس" لم تعترف لها بشيء كما أنها لم تكن تريد أن تترك ابنتها بمفردها مع "اندرا" لأنها تدرك أنه مخبول وقادر على فعل أي شيء. عندما قابلت "راشيل" "جرهام" وقررا الزواج اعتقدنا أن الوقت قد حان أخيرا. ثم.. ولكن كيف علمت بحق السماء بقصة "اندرا"؟ لقد اهتممت بالا أخبرك باي شيء.

قالت المرأة الشابة مازحة:

- لدي مصادر متنوعة لمعلوماتي.

لم يصر "مايك" على معرفة مصادر معلوماتها. ملأ لنفسه نصف كاس من الشراب المنعش. ولاحظت "كاتي" أن الشراب له نفس اللون العنبري لعيني "جابرييل".

- لم أخبرك باي شيء مما حدث لأنني لم أعرف أين وصلت مع "جابرييل". أخبرتني "جراس" أنكما تقابلتما في أثناء رحلة بحرية وبدا وقتها أن الأمور ستعود إلى ما كانت عليه قبل ذلك. ينبغي أن أعترف كذلك أنني كنت أخشى أن تدينني أنت أيضا مثلما فعلت "جراس" و"راشيل".

- أبدا يا أبي ولن يحدث هذا طوال حياتي. كنت سأتصرف بالضبط مثلما تصرفت. إنه الحل الوحيد الذي كان ينبغي أن تفعله.

- حتى لو أرسلت - بنفس الضربة - أخا الرجل الذي أحببته إلى السجن؟

قالت "كاتي" وإحساس التمرد يكسوها:

- نعم وبدون أي تردد. إنه مجنون وقد عانى الناس الشرفاء جنونه كثيرا.

ساد الصمت

- "كاتي" يا عزيزتي ينبغي أن أخبرك بشيء ما: "جابرييل" هنا. إنه يعتني بوالدته والمزرعة. لا أصدق أنه سعيد هذه الحرية الشهيرة التي يحبها والتي سببت لك قدرا من المتاعب يقال إن الحياة حجبتها عنه.

- أعلم هذا كله يا والدي. لقد قضيت يومين محبوسة هناك. كيف ظننت أنني على علم بما حدث لـ"اندرا"؟ أنا...

توقفت المرأة الشابة فجأة. هناك من يطرق باب الدخول بقوة.

نظرت إلى ساعة الحائط. كانت التاسعة مساء.

نهض "مايك" لكي يفتح الباب.

دخل "جابرييل" بعد عدة لحظات. إنه يبدو عصبيا ومتعبا، لكن عينيه تبرقان بوميض غريب.

كانت إضاءة الغرفة خافتة.

قررت "كاتي" - غير المرئية على الطرف الآخر من المنضدة الكبيرة - أن تتوارى عن نظره.

قال "جابرييل" بادئا الحديث:

- أسف يا "مايك"، الوقت متأخر ولكن ينبغي أن أتحدث إليك.

تركه "مايك" يواصل حديثه:

- "كاتي" موجودة بمنزلي. وهناك أفكار مجنونة تدور برأسها إنها ترغب في الاستقرار بالوادي وتستأنف حياتها هنا . إنها تجهل أنك بعت الجريدة. أعتقد أنها ستطلب منك عملا . أخيرا إنها...

قاطعته "كاتي" بصوت مضطرب وحاد:

- إنها هنا!

نهضت المرأة الشابة وتقدمت نحو النور خلف والدها.

الفصل السابع

- "كاتي"!

مد "جابرييل" يده نحوها. وداعب وجه المرأة الشابة برقة. كانت عيناه الخضراوان المليئتان بالغضب لا تدعوان مع ذلك إلى هذا الشكل من الألفة.

تقدم "مايك" بعض الخطوات نحو المشجب وارتدى أحد ملابس الجبل على عجل.

- اعذراني أنتما الاثنان. لقد وعدت بعض الأشخاص بالذهاب إليهم لكي أفض مشاكل التامين وتحرير بعض الخطابات.. إلخ. لقد وصلت "كاتي" فجاة والوقت قد تاخر. ليست لدي أي دقيقة اضيعها.

وجد "جابرييل" و"كاتي" نفسيهما بمفردهما.

أخذها "جابرييل" بين ذراعيه في الحال. دافعت "كاتي" عن نفسها كالنمرة ولكنه قاوم. دبت في نفسها قوة يصعب ترويضها تسعى إلى تجنب الكلمات غير المجدية والكبرياء والغضب.

قال لها وهو يتجه يمينا ناحية الهدف:

- كان ينبغي علي أن أمر لرؤية "ريكي" لقد وعدته أن أصطحبه إلى المزرعة في هذا المساء.

- ولماذا لم تفعل هذا؟

- لأنني أريد أن أكون معك وأحدثك وأمارس الحب معك. وإذا اصطحبته إلى المزرعة فلابد أن ألعب معه طوال السهرة. سترين ذلك عندما يعود! لقد أخبرته أن مدرسته مازالت غارقة في الفيضان وهذا صحيح ومن الأحسن أن يبقى عند "جانيت" حتى الغد أو بعد الغد.

صعقته "كاتي" بنظراتها.

- لا تغضبي يا ملاكي! إنه ولد صغير. كان سيغضب لو لم أذهب لرؤيته. يمكنك أن تقدري هذا، أليس كذلك؟ ولا تغضبي مني لأنني فعلت هذا من أجلك. لكي أكون معك في هذه الأمسية.

شعرت "كاتي" بالحقيقة تهدئ غضبها ولكنها مازالت - كمبدأ- غاضبة لأنها عانت في الحقيقة عندما لم يعد إلى المزرعة في هذا المساء.

- لقد أحسن "كيفن" صنعا باصطحابك إلى هنا. يمكننا العودة إلى المزرعة دون أي قصد خفي حيث قد رأيت "مايك" كما كنت تريدين.

- لن أذهب إلى المزرعة أبدا طوال حياتي. سأبقى هنا يا "جابرييل". وأعرفك أن "كيفن" كان في استطاعته أن ينزلني إلى القرية في اليوم الأول دون أن يتضايق. لقد كذبت علينا نحن الاثنين.

- لماذا تنظرين إلى الأمور من الجانب السيئ يا "كاتي"؟ نعم لقد احتجزتك بالمزرعة، هذا صحيح ولكن أليس هذا دليلا على اهتمامي بك؟ أوه يا "كاتي"! كنت في أمس الحاجة إليك. كنت سعيدا جدا لرؤيتك مرة أخرى، ومن ثم كنت أعرف لماذا اصطحبتك إلى هناك في اليوم الأول.

www.elromancia.com

دس أصابعه في شعر المراة الشابة ثم قال:

- لانك ملكي. لانك امراتي يا "كاتي" مثلما انا ملكك ورجلك.

احتضنها "جابرييل" على الرغم من انها تتمنع وتدير راسها من اليمين إلى اليسار وقد تقوست مثل الغزال الواقع في الفخ ولكنه تملك في النهاية من شفتيها. تذوقت "كاتي" حلاوة قبلته ثم عاطفته القوية التي جعلتهما يرتجفان رجفة فاترة. لقد أصبحت يدا "جابرييل" مثل السجن المدهش الذي لا ترغب في الإفلات منه..

- "كاتي"؟

- نعم

- لنتوقف قليلا. سنعود إلى المزرعة.

كانت لدى "كاتي" الرغبة في أن تبتسم. لقد وعد اكثر من مرة بوعود رائعة. ولقد تراجع اكثر من مرة. خطوة إلى الامام وخطوتان إلى الخلف.

نظرت مباشرة في عينيه. دارت أصابعها على رقبة "جابرييل" الذي تاججت مشاعره حينما رآها هكذا.

- "كاتي" . ليس هنا، ليس في منزل والدك.

- بل هنا والآن. أحب أن تفي بوعودك وكلامك إلى النهاية يا "جابرييل".

احتضنها وقبلها قبلة طويلة . بادلته قبلته وذراعاها ملتفتان حول عنقه القوي مرتشفة من رحيق شفتيه الحمراوين .

- ستحضنيني اكثر من ذلك يا "كاتي"، اليس كذلك؟

انتفضت "كاتي" في الحجرة الوردية التي صارت زرقاء بفعل اشعة القمر. ياله من ديكور رائع ومناسب لممارسة الحب!

- "كاتي" كم انت جميلة وساحرة! إنك تتحكمين في مشاعري وحياتي.

وأحبها "جابرييل" كما كان قد قال. شعرت "كاتي" وهي بين ذراعيه بانها في غابة مليئة بالأحاسيس المتعددة. وقد انبثقت فيها زهور متعاظمة وهناك شجيرات المداعبات، وطيور مغردة ساحرة تجذبها نحو السماء الزرقاء وقد شعرت بمذاق الرمان. وبين الأعشاب العطرية والنباتات كثيفة الأوراق ينسال واد مليء بالطحالب وتفوح منه الروائح الطيبة كما لو كان هذا الوادي مثل القصور التي توجد في قصص الف ليلة وليلة و"جابرييل" هو بطل هذه القصص الجسور والعاشق الولهان.

بعد أن اقترب الاثنان من بعضهما بعضا في ظل صمت الليل وضوء القمر المسيطرين على جو الغرفة طبع "جابرييل" قبلة على كتف صديقته. فارتجفت من اثر قبلته.

سالها "جابرييل" :

- هل تشعرين بالبرد؟

إنها لم تكن تشعر بالبرد ولكنها أحست انها بعيدة عنه جدا فجاة.

- "كاتي" ماذا حدث؟

- لا شيء.

صرت المراة الشابة على أسنانها. إنها تشعر بنفس الأحاسيس التي شعرت بها في صباح اليوم الذي تاهت فيه في شوارع سنغافورة بعد أن قضيا الليل معا. شعرت بالفراغ وعانت نفسها بصفة خاصة هذا الإحساس.

قالت بصوت خافت:

- من الأفضل أن ننهض حتى لا يجدنا والدي على حالة التعب هذه عندما يرجع. إنه لن يتاخر بالتاكيد.

- "كاتي"! لماذا انت حزينة جدا؟ سيكون امامنا ليال أخرى مثل ليلتنا هذه!

www.elromancia.com

- ستعودين معي إلى المزرعة؟ سنكون بخير حال هناك.

- لا فانا بحاجة إلى أن أبقى بمفردي.

- لماذا؟

- لانني اشعر بانني لست على ما يرام. كل شيء بيننا يبدو متناقضا وجدانيا. اعذرني...

- أين تذهبين؟

- سأذهب لعمل أي شيء ساخن.

قال محدثا نفسه.. حينما اختفت المراة الشابة في الممر:

تهربين مني يا "كاتي". إنك لم تحضنيني بعد. لقد أسأت إلي.

النساء يعقدن دائما الأمور السهلة. لقد انتهيا في الحال من اقتسام لحظات غير عادية من السعادة ومع ذلك لم تكن سعيدة.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة إلا ربعا. بدت "كاتي" متوترة. لم تنبئ جملتها المقتضبة عن أي شيء حسن.

سالته:

- هل كنت تعلم بما حدث لوالدينا؟

قاطعها "جابرييل" رافضا أن يفصح عن غضبه:

- نعم.. سنتحدث بشان هذا في مرة أخرى. أما الآن فاعتقد أنه من الأفضل أن انصرف. لسنا في حالة تسمح لنا بالمناقشة في هدوء.

احتضنها وقبلها قبلة رقيقة انتزعت منه الرغبة في الرحيل. بدت رغبته قوية ثلاث مرات عما كانت عليه في بداية الليلة ووجد صعوبة في توديع صديقته.

- تصبحين على خير يا "كاتي".

- تصبح على خير يا "جابرييل".

وقبلة أخرى تذوقها بمفرده هذه المرة بشكل حزين.

- إلى الملتقى قريبا.

عندما أصبحت "كاتي مايك كوينجل" بمفردها في المطبخ الكبير حيث دقت ساعة الحائط بقوة انخرطت في النحيب. ولانها تشعر بالبرد أعدت لنفسها قدحا من الشاي ثم صعدت إلى حجرتها. إنها لا تريد أن يراها "مايك" هكذا.

# # #

انتظر "مايك" أن تنطفئ اللمبة الحمراء الصغيرة ثم دخل إلى معمل تحميض الصور حيث توشك "كاتي" أن تجفف وتحمض الفيلم الذي صورته.

استدارت المراة الشابة نحو أبيها قبل أن تجري الاختبار على كل صورة.

سالها "مايك" ببساطة:

- لماذا لم تبقي معه؟

- كل ما في الأمر أن لدي عملا.

اقترب "مايك" ثم وجه عينيه كخبير وتفحص "نيجاتيف" الفيلم.

- عجبا! إنها تشبه نهاية العالم.

قالت مؤيدة رايه:

- هذا ما قلته بالفعل حينما رايته. أترى الجسر ينهار هناك بينما أنا أعبره بالسيارة.

تراجع "مايك" خطوة إلى الوراء.

- وماذا بعد؟

اكتفى "مايك" بهذا السؤال لانه يخشى أن يؤنبها.

- وماذا بعد؟ حملت الحقيبة المحتوية على آلات التصوير والتي كانت مغلقة لحسن الحظ وصعدت على سطح السيارة. وحينذاك جاء دور "جابرييل". لقد نزل من السماء لينقذ حياتي. المسكينة في هذا العالم الشيطاني. الملاك "جابرييل" يا للعجب! في ثيابه المضيئة.

www.elromancia.com

مسح "مايك" بظهر يده الدموع التي سالت على خدي "كاتي".

قال "مايك" برقة:

- لماذا لم تعودي معه.

- لانني لست من نوعية البنات التي تلزمه. يسودني فقط انطباع بانه يبحث عن الاستقرار.

- اراك عابسة. كيف امكنك ان تقولي شيئا كهذا؟

- إنه لا يفسر بل يحس.

- صحيح ان "ريشارد" يحتاج إلى أم.

انخرطت "كاتي" في النحيب.

- لا ارغب في ان يختارني من اجل هذا السبب. سيصبح الأمر فظيعا جدا بعد كل ما حدث بيننا.

- لقد قرر "جابرييل" ان يربي ابنه بمفرده يا "كاثرينا". هذه التجربة لا تخيفه. بل على العكس. وإذا كان في احتياج إليك فهذا بالتاكيد يرجع إلى اسباب اخرى معقولة وكثيرة. لا تنظري إلى الأمور من جانبها الضيق. ولا تجعلي من "جابرييل" رجلا مثل الآخرين لانك ستخطئين كثيرا.

كفت "كاتي" عن البكاء.

- الا تعتقدين انه إذا كان في احتياج إلى أم من اجل ابنه لكان قد استطاع أن يفض هذه المشكلة منذ وقت طويل؟ إنه الفتى الأكثر وسامة في المنطقة!

استدار "مايك" من جديد نحو "نيجاتيف" الفيلم وقال مفسرا:

- لقد لاحظت الآن انك لا تحملين اي امتعة. هذا يبدو غريبا بالنسبة لي لان رحلتك الصغيرة تبدو كانها انتقال من مكان إلى آخر. اليس كذلك؟ يجدربك على الاقل ان يكون لديك بعض الحقائب. ولكنني فهمت الآن، لقد ضاع كل شيء، اليس كذلك؟

- بلى.

- وكدت تفقدين حياتك مع..! لقد اصابني الخوف يا صغيرتي.

وضعت "كاتي" السائل المظهر والمثبت بالتبادل في حوض تجفيف الصور.

استمر "مايك" في ملاحظة "النيجاتيف" ببعض الإعجاب الذي لم يظهره.

بالتاكيد هناك عمل عظيم. ولكن "كاتي" تحملت مصاعب كثيرة في سبيل الحصول على هذه النتائج. إنها لم تخاطر بحياتها في سبيل صورة جميلة. كان هذا ما يفكر فيه "مايك".

سالت "كاتي" والدها بصوت حزين:

- ماذا ستفعل يا والدي؟ اين ستستقر؟

- حسنا.. لقد وقعت عقدا مع مجلة "انكو رجازيت" لكتابة ثلاثة اعمدة اسبوعية. سنتحدث بجدية عن الأجر في الوقت المناسب. يبدو ان الأمور تسير جيدا ....

تعجبت "كاتي" بحماس شديد:

- رائع! ولكن ... لكنك تكره "انكو ر"!

- نعم، لكنني في المقابل وجدت جنة صغيرة على بعد عشرين دقيقة بالسيارة من وسط المدينة: "ليونزباي" حيث الهدوء المطلق، والطبيعة الخلابة. واهل القرية.. إنهم مثلي يكرهون هذه الجلبة الشديدة الموجودة بـ "انكو ر".. إنهم قد احسوا بها بانفسهم! اعتقد ان هذا يسمح لي بلعب الورق بجانب النار في الشتاء. وفي الصيف الجا إلى البحيرة حيث السباحة وشمس منتصف النهار والتنزه في الجبل والغابة.

- هووه! أرى أنك ضمنت حياتك إلى آخر العمر! واتصور انك لن تسعى وراء المقالات بعد بيع الجريدة! كان ينبغي ان يعود عليك هذا

بالنفع بالنسبة إلى دخلك مدة ثلاثين أو أربعين سنة قادمة إذا استخدمته بالشكل الأصح.

- بالضبط يا عزيزتي.

- يمكنني أن أذهب للاستقرار هناك إلى جانبك .

- اعتقد انه من الأجدر أن تنتظري هنا. ليست لدي النية أبدا في بيع هذا المنزل. إنه ملكك. يمكنك أن تقيمي فيه مع "جابرييل".

أخذ "مايك" ابنته بين ذراعيه.

- انصتي إلى ما سأقوله لك الآن. إذا كنت تريدين "جابرييل" فحاولي أن تستميليه بكافة الطرق. هناك دائما من ينبغي أن يحارب من أجل الآخرين. لا تضيعي سنوات أكثر مما قد ضيعتها . اذهبي لرؤيته والبحث عنه . تحدثي إلى قلبه . انسي كبرياءك. إذا كنت تحبينه حقيقة وتتحدثين إليه هكذا فهذا ينبغي أن يؤثر على نفسه يا "كاتي".

- المسالة ليست سهلة يا والدي، كما أنني خجول ثم إنني أريد كل شيء منه.

- إنه انت التي يجب أن تمنحيه كل شيء يا ملاكي. ليس أمامك أي شيء إلا أن يفهم قوة مشاعرك. اقبليه على طبيعته مادمت تحبينه. وامنحيه كل حبك دون أن تطلبي منه المقابل. إن نفسه ستتوهج وتتاجج من أجلك إلى الأبد.

وساد الصمت.

- اطلبي منه الزواج، لا تترددي.

- والدي!

- "كاتي"، هناك نصيحة أود أن أعطيك إياها: لا تفعلي معه ما فعلت مع "جراس". لا تتركيه يرحل. في "ليونزباي" لن أكون سعيدا أكثر مما كنت هنا، اتفهمين هذا؟ إذا تركت "جابرييل" يرحل أو إذا منعتك كبرياؤك عن أن تكشف لك عما في قلبك فلن تنعما بالسعادة أبدا - لا

أنت ولا "جابرييل" حتى آخر أيامكما. بالنسبة لي لن يكون هناك شيء محزن أكثر من هذا يا عزيزتي.

وطبع قبلة حانية على خدها.

- سأخلد إلى النوم الآن يا "كاتي". ربما يجدر بك أن تفعلي شيئا ما. تصبحين على خير.

- تصبح على خير يا والدي.

إلى الملتقى قريبا.

كانت "كاتي" تعيد إلى مسامعها باستمرار كلمات "جابرييل" الأخيرة. منذ أربعة أيام وثلاث ليال كانت تنتظر أن يشعرها بالرغبة ولكن لديها مع ذلك شؤونا أهم. لقد سحبت سيارتها من وسط النهر الموحل.

ولابد أن تتعارك مع شركة التامين لكي تقدر حقوقها. ولكن يلزمها أسابيع قبل أن تلمس المبلغ الذي يسمح لها بعيش حياة طبيعية مرة أخرى. أغلبية أهل القرية كانوا في مثل هذا الموقف. إنهم يعيشون حياتهم ببطء.

إلى الملتقى قريبا.

استندت "كاتي" على سريرها - وقت أن كانت فتاة شابة تعيش في كنف أبيها - وهي تتساءل : عما كلفها الفيضان وما فقدته في كل هذه القصة ؟ إنها مسالة خاطئة على أية حال. هل يمكن أن يفقد الإنسان مالم يمتلكه في يوم من الأيام؟ لأن "جابرييل" لم يقترح عليها أبدا أي اقتراح بشان حياتهما معا.

وهي كذلك أيضا. ومع ذلك فهي في أشد الحاجة إليه. مادام غياب "جابرييل" استمر فإن تنفسها اتخذ شكل التنهيدة الفاترة. لماذا لا تنزل لرؤيته؟

هل هذا لكي تحترم وقت التفكير الذي طلبته لنفسها؟ أو لأنه من الصعب جدا عليها أن تتخذ أي قرار أو تترك الأمور تسير من تلقاء

نفسها؟

وإذا كان "مايك" محقا فيما قاله؟

بعد كل هذا لم لا؟

فـ"مايك" لديه من الخبرة. ما يجعله لن يسمح لنفسه أن يعطيها هذه النصيحة هكذا بمنتهى السهولة.

ربما ظن "جابرييل" أن الزواج لن يجعلها سعيدة وانه لن يطلب منها أن تصبح زوجته حتى لو كانت هذه اغلى امانيه. علاوة على ذلك إنه لم يكف عن قول هذا بشتى الطرق: "اعرف دائما انك ستكونين زوجتي ذات يوم، ولأنك ملكي منذ أن خلقنا الله. أعـرف دائمـا انك ستنتظرينني. اعرف أنه باستطاعتي أن امتلك كل شيء. حياتي كشاب وضابط بحري ومغامر . حيث بددت كل سنين شبابي في عرض البحار، وحياتي معك! حياتي معك!

ماذا يريد أن يقول من وراء هذا بالضبط؟

ظلت المراة الشابة هكذا فترة طويلة وعيناها الواسعتان المفتوحتان تنظران إلى السقف.

ثم نهضت واقفة لما ادركت انها لم تنم منذ ساعات .

كان القمر بدرا ومن ثم لم تجد ادنى صعوبة في قراءة ساعة الحائط المعلقة في المطبخ: إنها الواحدة وثماني دقائق. ذهبت لإعداد قدح من الشاي ولكنها تراجعت.

زفرت "كاتي" وجلست إلى منضدة المطبخ واخذت راسها بين يديها.

إنها الواحدة وثلاث وثلاثون دقيقة.

فجاة نهضت لكي تفتش جاكت "مايك" واخرجت منه سلسلة مفاتيح. ارتسمت ابتسامة رشيقة على شفتيها الممدودتين. اقتربت المراة الشابة من حجرة والدها ووضعت اذنها على الباب. إنه نائم. ارتدت جاكت الجبل السميك. خرجت من المنزل وهي تشعر بانها مذنبة اكثر

مما كانت في سن السابعة عشرة. في هذه المرة ازداد شعورها بالإثم لأنها أخذت السيارة دون أن تاخذ إذن والدها. اغلقت الباب من ورائها بهدوء.

منذ سنوات قبل هذا سارت "كاتي" بقدميها على العشب الندي وهي تعبر ثلاثة شوارع مهجورة في هذه الساعة لكي تعثر على "جابرييل" في مغسل القرية. تحدث الاثنان معا عدة ساعات امام المياه البنفسجية والسوداء التي منحتهما شكل البحيرة المقدسة.

عندما مشت في الطريق المؤدي إلى المزرعة انفجرت "كاتي" في الضحك المتواصل والبشوش. هذا الاحتدام في الضحك كان به شيء لذيذ وغريب اسعدها كثيرا.

"جابرييل" لم يكن يعرف بالتاكيد أنها ستاتي إليه. وسالت "كاتي" نفسها عن الطريقة التي سيستقبلها بها.

ياله من استقبال حفي!

الفصل الثامن

تامل "جابرييل" ايضا ضوء القمر. لقد قضى الامسية - مثلما كان يفعل في السنوات الماضية - في تخيل ابنة "مايك كوينجل" في حجرتها الوردية بالطابق الاول وهي نائمة في وسط سريرها لا تفكر او تحلم بشخص غيره. كان شعر "كاتي" في الماضي طويلا و"جابرييل" يتخيل بادق التفاصيل الغريبة هذا الشعر الفاتن الذي تتناثر ضفائره الشقراء في ضوء اشعة القمر على بياض الوسادات المشوب بالزرقة. واليوم زادت خصلات شعر "كاتي" القصيرة سحرها، ويحب "جابرييل" ان يمرر أصابعه فيها بمنتهى الحب. ولكن هناك صورة أخرى استحوذت على انتباهه كلية إزاء المراة الشابة وهي صورة جسديهما المتشابكين على هذا السرير الرقيق الوردي حيث كانا قد قابلا المجهول قبل ذلك بعدة ايام. وها هو الآن بمفرده!

وهي نائمة غير مكترثة لحاجتها إلى ان تبقى بمفردها وهذا اثار حزنه.

الحياة ايضا غير مفهومة. إن العلاقة بينهما هي الاخرى غير مفهومة وعصيبة. مازال هناك كثير من العقبات تجول بذهن "جابرييل". إنه يدركها تماما ومن ثم فهو تعيس دون ان يشكو معاناته. ياله من امر فظيع أن يرفض السعادة المرغوبة لانه غير جدير بها !

لكي يضيع الوقت الذي لا يمر قام "جابرييل" بعمل شاي. كان يبحث مثل "كاتي" عن اي شيء لكي يجمله. بدت له قارورة الشراب خير حجة لذلك. في الوقت الذي كان يصب فيه "جابرييل" الشراب سمع صوت سيارة على الطريق. تعرف بسرعة كبيرة على سيارة "مايك". بدت له صورة والد "كاتي" مثل الشيء الذي لا يمكن احتماله في حالة تهيج الاعصاب التي يوجد عليها.

ابتسم عندما تصور "مايك" في صورة الأب المنتقم. لم يكن الرجل مندفعا. إنه لم يات في الثانية صباحا تقريبا لمناقشة مثل هذه الامور. إذن من هذا المسافر الغريب الآتي بالليل؟ هل هو شبح "اندرا"؟

اتسعت حدقتا عينيه من الدهشة عندما شاهد "كاتي" تنزل من السيارة وتتجه بخطى ثابتة نحو المزرعة.

ازال "جابرييل" من على وجهه اي اثر للانفعال. ثم ذهب باتجاه الباب ليستقبل الزائرة.

قالت "كاتي":

- امل الا اكون قد ايقظتك.

رد عليها بصوت متحفظ وبارد:

- لا. ادخلي.

شعرت المراة الشابة في الحال باثار الشراب الذي يفوح من الغرفة. سالت مستفهمة وهي قلقة:

- هل شربت؟

- نعم. لم استطع النوم. اتريدين كاسا؟

ابتسمت "كاتي" ببشاشة :

- لا، شكرا. لقد شربت مع والدي منذ ربع ساعة.

جلس الاثنان في جانب من الحجرة، ولكن وجود حقيبة كاملة على منضدة المطبخ الكبيرة اثار انتباه المراة الشابة.

- هل انت ذاهب إلى جهة ما؟

- نعم. سأذهب للتعرف على ابن اختي الذي ولد منذ شهر تقريبا. سأرحل في عطلة نهاية الأسبوع؟

- أوه، و"ريكي"؟

- ساصطحبه معي لكن.. كانت لدي النية لمحادثتك قبل أن أرحل..

وساد الصمت.

- "كاتي" ماذا تفعلين هنا في الثانية صباحا؟ ربما كنت ستسقطين في قبر مفتوح. لقد سمعتك وانت آتية من بعيد.

اغمضت المراة الشابة عينيها.

لا. لقد قررت أن تبتعد عن المهاترات. إنها اختارت أن تلعب ببطاقة الصراحة وأن تبدي حبها له دون اية كبرياء .

- انا.. أنا لدي الرغبة في أن اكون بالقرب منك.

انتفخ صدر "جابرييل" تحت تاثير هذه العاطفة . يالها من عاطفة مباشرة وشفافة! كم يحب هذا ! إنها تخفي عليه أشياء وتتحايل لكي تهرب من الحقيقة.

مال نحو سلة الصوف وأخرج منها "بلوفر" ثم طبقه قبل أن يضعه في الحقيبة.

- تعرفين يا "كاتي" انه على الرغم مما قلته لك في الأيام الماضية فإنني لا أستطيع أن ابيع هذا المنزل وأرحل هكذا على مركب ابيض وقبل كل شيء فإن المزرعة ملك لـ"جراس".

وينبغي حقيقة أن تغادر القرية إلى الأبد ولكنني لا أعتقد انها تريد

ذلك.

- لقد تحدثت عن شخص سيؤجرها.

هز راسه وقال:

- إنه كلام الليل.

قررت "كاتي" ان تغير مجرى الحديث المتشائم.

- أخبرني "مايك" انك كتبت إلى والدتك بشان مقابلتنا منذ اربعة أعوام. لقد احسست أن.. انك عاشق مرة أخرى... وان.. انك فكرت في هذا الوقت في إمكان العيش بالقرب مني.

انهت "كاتي" حديثها كانها تستحثه:

- هل كانت مخطئة؟ وإلا لماذا تركتني هكذا في ميناء سنغافورة؟

- لابد أن أمي قد قرأت ما بين السطور وما كنت اتمناه بالفعل على الاقل في الوقت الذي كتبت إليها هذا الخطاب ولكنني أعرف دائما ان الأحداث لا تمر كما هو مخطط لها..

- "جابرييل"، منذ اربعة أعوام همست إلي بانك لن تتركني ابدا وتحدثت في هذه الليلة كما لو كنت تريد أن تهرب إلى آخر العالم. لماذا؟

- لا يمكنني أن افسر لك هذا.

- اسمع، لا تهمني اسرارك لأنني أعرف حقيقة انك تحبني.

نهض واقفا ثم نظر إليها. اعتقدت "كاتي" انه سينكر ويدافع عن نفسه واضطرم قلبها قبل أن ينطق بالكلمات.

ترك "جابرييل" الملبس يسقط في الحقيبة كما لو كان لا يهم اي شيء. قال لها بصوت خفيض وغاضب ولكنه حان:

- هذا صحيح.. انا أحبك.

عاشت "كاتي" لحظة سعادة فائقة بفضل الكلمتين الملصقتين في ذاكرتها واللتين محتا كل الشكوك والتردد وكل مخاوف النفس التي

www.elromancia.com

تعذبها.

تبادل الاثنان النظرات فترة طويلة.

طاف "جابرييل" في الحجرة لكي يطفئ اللمبات. ثم أخذ "كاتي" بين ذراعيه واصطحبها إلى حجرته ومارسا الحب في هدوء. كم كان الاثنان في حاجة إلى هذه العذوبة المفاجئة التي أحدثتها الكلمات الرقيقة التي تحولت إلى مداعبات!

# # #

في صباح اليوم التالي استيقظت "كاتي" على رائحة القهوة. فتحت عينيها. مد "جابرييل" إليها يده بكوب من الصيني الأزرق المليء بالقهوة شديدة النكهة.

قال "جابرييل" بادئا الحديث:

- أعشق فكرة أن تكوني هنا في سريري، ولكن لدي أيضا ولدا صغيرا قد يقفز هنا بين لحظة وأخرى مثلما يفعل كل صباح لكي يطمئن انني استيقظت. لا أريد أن تتعرفي عليه وأنت في هذا الوضع.

تدرك "كاتي" بالتأكيد هذا ولكنها شعرت بانها مجرد محظية اختارها لهذه الليلة وهذا ما كسر قلبها.

نهضت واقفة وهي محبطة.

أمسكها "جابرييل" من يدها وهمس قائلا لها:

- لن أدعك ترحلين وأنت في مثل هذه الحالة.

- لست أنت السبب فيها ولكنني أتفهم الأمر جيدا بالنسبة لـ"ريكي". إنه أنا التي لا تستطيع أن ترى هذه.. هذه اللحظة المؤثرة.. لا أعرف.

- عم تتحدثين؟ تعرفين انني أحبك، بل نتبادل الحب. لماذا لا تتركين الأمور تسير من تلقاء نفسها يوما بعد يوم؟ لماذا لا تتركينها حتى تقربنا وتساعدنا على فهم بعضنا بعضا ؟ سنعثر على الإجابات في إطار هذه المحبة والمودة ومالیس في الحسبان..

- بعد كل هذه السنين من المهم بالنسبة لي أن أسعى إلى هدف معك يا "جابرييل". ظننت انه يمكنني الاستمرار مثلما استمررت قبل ذلك. ولكن لا. الآن فانا أحب العيش إلى جوارك وأحبك في كل يوم، بل في كل ساعة..

ترددت في كلامها ثم بدا لها صوت "مايك" مثل صوت الملاك الحارس.

- نعم، أحببت أن أعيش معك مثل الذي قد عاشه "راشيل" و"جرهام" وما سيعيشه "مايك" و"جراس". رحلة كبيرة وطويلة إلى الأبد.

تنهدت "كاتي" تنهيدة عميقة. لقد جف حلقها من الانفعال ثم سألته في النهاية:

- "جابرييل"، هل تقبل الزواج بي؟

قال متعجبا:

- يارب السماء! لقد صعبت علي الأمور يا "كاتي".

- لقد أخبرتك أن هذا لم يكن في نيتي. لكن هذه المرة أسعى ألا أفقدك من جديد.

سمع "جابرييل" بعد دقيقتين الشاحنة تبتعد. ظهر "ريكي" في نفس اللحظة بالحجرة ووجد والده تعيسا ومهموما ويضع رأسه بين يديه.

- ماذا هنا لك يا أبي؟ هل لديك الم بالبطن؟

لم يكن هناك استدعاء لـ"جابرييل" في مساء الأحد أو في الأيام التالية ولكن "كاتي" بدت صبورا . كانت تهرول مسرعة إلى الهاتف عندما يرن كأنها شابة عاشقة.

في مساء يوم الخميس تلقت دعوة عشاء من الكنيسة على شرف كل من ساعدها في أثناء الفيضان. بالتأكيد "جابرييل" سيكون هناك. اشترت "كاتي" بهذه المناسبة في نهاية المطاف سيارة رمادية صغيرة بمقابل زهيد تستمر معها حتى يدفع مبلغ التامين. ومن جانبه عرض

www.elromancia.com

عليها "مايك" فستانا فاتنا من قماش الموسلين الفيروزي. كان العشاء فاخرا و"جابرييل" مستعد له تماما مثل اغلبية المدعوين ولكنهما لم يقتربا جنبا إلى جنب . ولم يتبادلا إلا بعض الكلمات البسيطة على مرأى ومسمع من الجميع.

سالها "جابرييل" بقلق عندما اكتشف السيارة الرمادية الصغيرة المركونة في مكان انتظار السيارات:

- أتظنين أنك ستعودين في هذا الشيء؟

- لقد أتيت بها.

- حسنا، لكنني افضل أن اتبعك بسيارتي لكي اتاكد من انه لن يحدث لك أي شيء في الطريق. انتظريني عند مدخل الطريق.

سارت سيارة المناسبات بطريقة جيدة على الرغم من أن منظرها يوحي بانها لا تتجاوز ستين كيلو مترا في الساعة.

ابتسمت "كاتي" عندما نزلت من السيارة وركنتها امام منزل "مايك":

- أترى! إنها تمشي بشكل جيد!

- باستثناء انها كارثة بيئية! لابد أن احطم زجاج النوافذ المغلقة لما تحدثه من تسمم.

- أوه! لن أصبح خطرا عاما فترة طويلة. في خلال خمسة عشر يوما من الآن لابد أن تسوي الأمور مع شركة "ليود".

تحدث الاثنان عن انطباعاتهما على العشاء. ثم دعاها "جابرييل" إلى نزهة على الحصان مع "ريكي" في صباح السبت. وافقت "كاتي" على تلبية الدعوة وهي تفكر أن هذا أفضل من لا شيء.

في صباح اليوم التالي استعدت "كاتي" جيدا قبل الميعاد وارتدت ملابسها منذ التاسعة وقد اشتهرت بعض الشيء في محال القرية التجارية.

عندما وصلت إلى المزرعة كان "ريكي" يمتطي جوادا أسود مشوبا

بالبياض . انتهى "جابرييل" من تسريج الحصانين. اقتربت "كاتي" والابتسامة تعلو شفتيها ، ولكنها لم تجد ادنى تشابه بين الأب والابن.

كانت عينا "ريكي" رماديتين غامقتين يعلوهما حاجبان خفيفان وله خدان ورديان. إنه يشبه دون شك والدته لأن "اندرا" كان لديه سمرة داكنة في عينيه السوداوين.

قام "جابرييل" بتقديم "كاتي" إلى الطفل:

- أيها الشاب ، هاهي "كاتي مايك كوينجل" التي حدثتك عنها. أيمكنك أن تقول لها صباح الخير؟

أذعن "ريكي" لطلبه بابتسامة كبيرة:

- صباح الخير يا "كاتي".

طلبت المرأة الشابة الإذن بتقبيل الفتى الصغير.

استجاب "ريكي" وهو ينفجر في الضحك الخجول ولكنه مد خده بنهم.

قالت "كاتي":

- لقد تحدثت عنك انا ايضا إنني مسرورة بمعرفتك يا "ريكي". ما اسم جوادك الصغير؟

- "باندا". إنه يشبه دبي . إنه وديع.

انفجرت "كاتي" في الضحك.

- انا ايضا لدي دب. لقد كسبه والدك من أجلي في المعرض.

اتسعت عينا "ريكي" الكبيرتان كثيرا، وسأل بشغف شديد:

- في اي لعبة؟

- كان لابد أن يقلب زجاجة لبن صغيرة بكرة البسبول.

قال "جابرييل" متمردا:

- ابدا ! أتذكر جيدا ما حدث. لقد نجحت في تفجير مجموعة من

www.elromancia.com

الكرات باسهم رصاصية.

ابتسمت "كاتي":

- إنها في مرة أخرى. لقد ربحت كلبا رائعا.

قال "ريكي" وهو مهتم:

- هل تذهبان إلى المعرض كثيرا؟

رد عليه "جابرييل":

- نعم، من وقت لآخر.

ثم وجه عينيه نحو "كاتي":

- هل انت متاكدة انني ربحت حقيقة دبا اسمر مشوبا بالبياض بزجاجة اللبن؟

- هذه اللعبة تمارس على الاقل من على بعد مترين.

- إنه يفعلها دائما. لم يلمس والدك اي شيء لقد ظلت اللعب القطيفة في دولاب غرفتي.

- هل ستذهب قريبا إلى المعرض؟ هل ستربح من اجلي ثعبانا مخططا يا والدي؟

- كيف تتحدث ! سنكسب اثنين. سنذهب مع "كاتي" إذا اردت ذلك. انا متاكد حتما انها تجلب لي السعادة.

- نعم يمكنها ان تاتي معنا.

غادر الثلاثة المزرعة من اجل القيام بنزهة هادئة على الاقدام في المراعي. شهر مايو رائع. إنه حار بعض الشيء، ولكن "ريكي" ظل يتحدث طوال الوقت ولا يكل من طرح الأسئلة عن كل ما تقع عليه عيناه من حوله.

في حوالي الساعة العاشرة والنصف توقف "جابرييل" على جبل عال ثم قال:

- من يرغب في تناول اي شيء طازج؟

كانت الابتسامة الجميلة هي الرد الوحيد الذي حصل عليه.

بسط "جابرييل" غطاء على العشب المزهر. واخرج من حقيبته الصغيرة التي يحملها على ظهره وعاء لحفظ السوائل وأكوابا.

قالت "كاتي" وكانها تظهر مفاجاة:

- لقد احضرت "جاتوهات".

اقترب "ريكي" منها وقال:

- جاتوهات! كيف؟

- بالشوكولاتة.

- من مخبز الحلوى؟ والدتي تصنع الجاتوهات في فرن المنزل ولكن والدي يشتريها من القرية.

- لقد اعددتها بنفسي في هذا الصباح وأعددتها خصوصا لك.

- ومن أجل والدي؟

- ومن اجل والدك ايضا بالتاكيد.

بسطت "كاتي" منشفة حمراء تحتوي على مكعبات الكعك الشهية واخذ "ريكي" منها مكعبا. ثم جلس بالقرب من المراة الشابة أو ربما بالقرب من مخزون الحلوى الصغيرة.

همس قائلا بإعجاب:

- اوه، يالها من لذيذة!

تناول "جابرييل" هو الآخر هذه المكعبات وقال مؤكدا:

- بالفعل، إنها لذيذة!

- أيمكنني ان آخذ مكعبا آخر يا "كاتي"؟

تناول "ريكي" المكعب الثاني بإعجاب. وامسك "جابرييل" يد صديقته وقال معلقا:

- ستصبحين صديقته طوال العمر.

اعترفت "كاتي":

www.elromancia.com

- إن هذا ما أسعى إليه بالفعل.

تنهد "جابرييل":

- لقد عزمت حقا على اللجوء إلى كافة الوسائل.

أقرت "كاتي" بصراحة:

- كافة الوسائل ستكون طيبة.

- ماذا أفعل بك؟

- لماذا لا تأخذ قطعة أخرى من الجاتوه بدلا من أن تتساءل ؟

- وعندما تنفد الجاتوهات؟

- ساجهز جاتوهات أخرى.

- وعندما تشعرين بالتعب لاستيقاظك في الفجر لتجهيز هذه الجاتوهات؟

- لن أتعب أبدا.

- ستجعلينني مجنونا بهذه الطريقة التي ترين بها الأشياء.

قالت "كاتي" وهي تقهقه:

- لا تتكلم وفمك ممتلئ. لست قدوة حسنة لصديقي الجديد.

# # #

قضت المرأة الشابة في الأيام التالية بعض ايامها بالمزرعة. كانت تتناول العشاء كل مساء مع "جابرييل" و"ريكي". ثم تقرأ او تحكي قصة للولد الصغير وهي جالسة على حافة سريره.

في اليوم الخامس همست قائلة وهما ينزلان من الحجرة التي سافر منها "ريكي" إلى بلد الأحلام بعد الرواية الممتعة لقصة الساحرات.

- من الجنون أن نبحث عن السعادة في أطراف العالم وهي قريبة منا. إنها تنتظرك في جانب الشارع.

أوقفها "جابرييل" في منتصف السلم وقال لها معارضا:

- تعرفين أن هذا غير صحيح. ربما لا تكفي الحياة للعثور على هذا

الهدوء الذي تتكلمين عنه وعرفته في هذا المساء. أوه يا "كاتي" ارجوك الا تعتادي على ما قد رايته في الأيام السابقة. إنها إجازة ولن تستمر...

صعدت "كاتي" السلم درجة وجذبت "جابرييل" من رقبته برقة.

- ولم لا؟

ارتكزت كل مهارتها حينذاك في قبلة مثيرة لم يستطع "جابرييل" أن يقاومها.

قال هامسا:

- يمكنني فعل هذا...

- طوال الحياة؟

كشر "جابرييل" غضبا تحت تاثير اللذة. وقال معترفا صراحة:

- طوال الليلة.

- كما تريد يا عزيزي. طوال الليلة.

ولكن عندما استيقظ "جابرييل" كان وحيدا في منتصف السرير الكبير.

لقد تركته "كاتي" بعد أن مارسا الحب معا.

لقد انتهت الإجازة.

# # #

إنه صوت الهاتف المرعب تقريبا الذي ايقظ المرأة الشابة مبكرا. نهضت من الفراش بصعوبة ونزلت إلى الطابق السفلي. علمت من صوت الدش أن "مايك" يستحم. رفعت سماعة الهاتف.

- الو!

ساد الصمت على الطرف الآخر من السماعة، ثم سمعت صوتا نسائيا مرتعدا:

- "مايك"... هل يمكنني محادثة "مايك"؟

- نعم ولكنه ياخذ حماما. يمكنك الاتصال به فيما بعد .

www.elromancia.com

بدأت "كاتي" تدرك شيئا. لقد سمعت زفيرا، وهذه الزفرة القصيرة لامرأة.

- اسمع أيها الشاب، لا أعرف من أنت وما تفعله لدي "مايك" في هذه الساعة من النهار ولكن ينبغي أن تقنعه بالرحيل فورا هناك خطر عظيم.

- كيف؟ انتظري، سأذهب للبحث عنه. لا تضعي السماعة، أنا.. - لا! لا! ليس لدي الوقت. ينبغي أن أرحل في نفس اللحظة ولكن أخبره بأن يرحل مباشرة ، لوسمحت وأن يغادر المنزل والقرية. أن يبتعد عنها. أؤكد لك أن حياته في خطر!

- من أنت يا سيدتي؟ ماذا يحدث بالضبط؟

- أخبره أنه لا يوجد متسع من الوقت أمامه لكي يضيعه..

كانت المرأة تبكي في هذه اللحظة وبات من الصعب تمييز كلامها. يجب أن يرحل وإلا قتل.

ووضعت السماعة.

اتجهت "كاتي" نحو حمام والدها وهي تظن أنها دعابة سخيفة ولكنها مع ذلك شعرت بالقلق.

- أبي، تعال بسرعة. هناك مكالمة هاتفية غريبة.

وشرحت الأمر له.

سألها "مايك":

- هل أنت متأكدة أنها ليست "جراس" ؟

- "جراس"؟ لا ! كانت ستناديني باسمي. ثم إنني لم أتعرف على صوتها. صحيح أنه مضى خمسة عشر عاما ولم أستمع إلى صوتها دون أن نغفل أيضا أنها كانت تبكي..

- سأتصل بـ"راشيل" واذهبي أنت لإعداد القهوة يا عزيزتي.

همست "كاتي":

- نعم.

ولكنها ظلت واقفة بالقرب من "مايك" وهي مضطربة وتسعى إلى معرفة كل شيء.

رن جرس الهاتف على بعد مائتي كيلو متر من الغرب وأيقظ "راشيل" مثلما أيقظت المرأة المجهولة "كاتي".

- ألو ، "راشيل"؟ إنه "مايك" المتحدث. أريد أن أعرف إذا كانت والدتك بخير. أعتقد أننا تلقينا منها مكالمة هاتفية ووجدتها ابنتي في حالة عصبية شديدة.

- "كاتي"؟ هل عادت "كاتي" من أجل "جابرييل"؟

ميزت "كاتي" صوت صديقتها القديمة على الطرف الآخر من السماعة.

كسر برودها الفظ قلب "كاتي".

- "راشيل"، أرجوك، هذا ليس أوانه. أتودين الذهاب لتري إذا كانت "جراس" نائمة على سريرها ؟

- ولكنها ، بالتأكيد نائمة ! إنها السادسة صباحا. وتعرف جيدا أنها ترفض التحدث إليك. ألا يمكنك أن تتركها هادئة ؟

- "راشيل"، اذهبي لرؤيتها لوسمحت.

ساد الصمت فترة طويلة ثم أعقبه صوت خائف:

- "مايك"؟ لقد رحلت أمي. سيارتها ليست في المكان المخصص لوقوف السيارات. لقد تركت رسالة على السرير. "أندرا" هرب من السجن . لقد قالت: إنها في الطريق إلى القرية.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

- والدي.. "جابرييل". ينبغي ان نحذر "جابرييل"...

عبرت عينا "كاتي" فجاة عن الخوف المرعب من فقدان اغلى شخص لديها في الحياة.

- ثم ينبغي أن تسرع بالمشي من هنا باقصى سرعة. "جراس" لديها حق. إذا كان "اندرا" قد هرب فإنه يرغب في الثار مما الحقته به .

- لن اتحرك من هنا يا "كاثرينا"، ولكن من الضروري حقا أن نعلم "جابرييل" بالخبر مباشرة. اذهبي وارتدي ملابسك. ساخبره الآن.

ترددت "كاتي".

- هيا، اسرعي.

اذعنت المراة الشابة في النهاية لطلبه فمهما حدث إلا انه ينبغي أن تواجه الأحداث بملابس اخرى غير قميص النوم.

قالت وهي تنزل بعد عدة دقائق مرتدية ملابس رياضية.

- أين يمكن أن يكون هذا الشيطان؟

- ألا يوجد إذن هاتف في هذه المزرعة اللعينة؟

# # #

أسرعت "كاتي" نحو النافذة، ونظرت من خلالها وكادت تبكي تقريبا عندما سكنت الامها: إنه "جابرييل".

بدا واضحا انه كان خارجا من السرير . كان شعره اشعث، وشعر ذقنه الأشقر يزين خديه ويحمل "ريكي" بين ذراعيه.

كان الطفل هو الوحيد الذي يبتسم. هذه الغزوة الصباحية اسعدته كثيرا. طرقت "كاتي"- ثلاث ضربات قوية - الباب وجرى "جابرييل" ليفتح لها.

- اتصلت والدتك منذ برهة لكي...

- أعرف. لقد اطلعتني "راشيل" على الأمر. اصغيا إلي: كنت ساتي للبحث عنكما لكي تعودا إلى المزرعة. ستصل الشرطة إلى هنا بعد قليل ولكنهم لن يظلوا هنا إلا بعض الوقت. خذا احتياطاتكما إذا كنتما تحتاجان إلى شيء بعينه ثم عودا إلى هنا باقصى سرعة ممكنة.

وضع "جابرييل" "ريكي" على الأرض ولكن منعه من الذهاب إلى اليمين أو إلى اليسار وهو ممسك بيده.

رد عليه "مايك" بصوت هادئ:

- لا، هذا مستحيل.

القى حفنة كبيرة من البن العربي في المصفاة ثم واصل حديثه:

- لن تتاخر "جراس" كثيرا، انا على يقين من ذلك. لن ابرح هذا المكان

www.elromancia.com

حتى تصل. ولكنك محق يا "جابرييل"، لا ينبغي أن تجر إلى هنا الثلاثة.

قالت "كاتي" بانفعال:

- هذا ضرب من الجنون حقا يا والدي! لا يمكنك أن تبقى هنا دون حماية.

- سابقى هنا حتى تاتي "جراس". لا أريد أن تواجه هذا الطائش.

جلست "كاتي" وقد بدا عليها الذعر.

- إذا بقيت فسابقى معك.

قال لها برباطة جاش بصوت معتدل:

- انصتي إلي يا عزيزتي..

ولكن قاطعه صوت ضجة باب الدخول الذي فُتح بضربة عنيفة من القدم:

- لا توجد مشكلة . هناك أمور سنتحدث عنها!

وساد الصمت طويلا.

تذكرت "كاتي" في أعقاب ذلك أن الزمن قد بدا متوقفا . لم يتجرأ أحد على أن يتنفس قبل أن تطلب رئتاه العفو. أعطى كل واحد منهم الأمر الصارم لعضلاته بألا تتحرك.

كان "جابرييل" يقف بالقرب من الباب. تغيرت قسمات وجهه عندما سمع صوت أخيه.

يبدو أن رؤيته أيضا تسبب له نوعا من الألم الجسدي. ولكن قسمات وجهه تبدي اهتماما ملحوظا بما قد يحدث ، فهذا المشهد شاق عليه.

تحرك "ريكي" بالقرب منه وعيناه الواسعتان مفتوحتان. لقد أحس

بالخطر والخوف والقلق الذي يحيطه ولكنه لم يفهم أسبابه وهذا أقلقه بالفعل. كان لسانه يرغب في طلب الاستفسارات ممن يعتقد أنه والده. ولما كان يعرف أن هذا مستحيل أو ممنوع إلى حد ما فإن حدقتيه الرماديتين اتجهتا صوب "كاتي" تارة وصوب "مايك" تارة أخرى ، آملا أن يجد تفسيرا أو مساندة ولكن لم يستطع أي شخص أن يمنحه إياهما في هذه اللحظة.

انتظر "مايك" الواقف بالقرب من حوض المطبخ أن يعطيه أي شخص الأمر بإيقاف المصفاة. ربما يكون هو الشخص الوحيد الذي بقي هادئا بداخله.

استمعت "كاتي" وهي جالسة على الكرسي إلى صوت الضوضاء الصادر من الباب والنافذة التي فتحتها في لحظة وصول "جابرييل"، كانت السيارات تسير بانتظام في الشارع. هناك أم تنادي طفلها من أجل أن يتناول طعامه. الكل يبدو هادئا جدا وغير مبال. وأدركت أن كل أصناف المآسي تحدث في كل لحظة على كوكب الأرض، خلف جدر المنازل دون أن يعطيها أي شخص أدنى اهتمام.

يسيطر "أندرا" - الشاحب والبالغ طوله حوالي ١٩٠سم - الآن على الموقف. كان يرتدي - دون شك - ملابس السجن. إنه يفكر حقيقة في تجسيد الأذى والموت. كست متعة شاطحة قسمات وجهه . كان يمسك في يده اليمنى مسدسا أسود يهدد به.

تغير المشهد ببطء شديد.

أغلق "أندرا" الباب بقدمه بعنف ونزع مقبض الباب والقى به في وسط الحجرة وهو يضحك ضحكة شريرة.

www.elromancia.com

لا يستطيع أي أحد الدخول إلى الحجرة ولا "جراس" أو الشرطة عندما تصل. ربما فيما بعد.

ظلت النافذة مفتوحة ولم تطرأ فكرة إغلاقها ببال "اندرا" لأنه يبدو أنه يحترق من داخله مثل البركان الموشك على الانفجار. وبعد ذلك امسك "ريكي" من معصمه وجذبه إليه دون أي مراعاة. زلت ركبتا الطفل على البلاط الحجري غير المستوي.

كانت هذه قطرات الدم الأولى السائلة. اطلق "ريكي" صرخة الم ثم صرخة رعب. ماذا حدث له؟

قال صارخا:

- والدي!

سالت دموع غزيرة على خديه. إن التعرف على الظلم محنة قاسية دائما.

قال "اندرا" بتهكم:

- والدي! انا والدك يا بني.

ولكي يعاقبه جذبه "اندرا" بين ساقيه بقوة.

زاد صراخ الطفل.

تدخل "مايك" حينذاك:

- لماذا تعذب هذا الطفل؟ اتركه ينصرف. اعرف انك اتيت من اجلي وليست لدي النية لـ...

قال "اندرا" ثائرا:

- لا، ليس من اجلك فقط ايها الحشرة ولكن من اجلها ايضا. إنها ستاتي لابد ان القديسة "انيت" قد اخبرتها! نعم، إنها هي دون شك.

وانا متاكد ان "جراس" استدعتك في الحال. سننتظرها.

توجهت نظراته مثل سكين الجزار صوب "جابرييل" ثم قال وهو يستمتع بتذوق كلماته:

- القديسة "انيت" ! ستموت هي الاخرى. ولكن ليس قبل ان انتهي من "جراس".

قال "جابرييل":

- لن تمسها، وإذا تجرات ورفعت يدك على امنا..

قاطعه "اندرا":

- إنها ليست امي. هذه المراة الفظيعة المزيفة، هذه الفاجرة..

قال "جابرييل" :

- لقد ربتك يا "اندرا" ومنحتك كل حبها. لم تكف ابدا عن العناية بك او مسامحتك مهما فعلت.

القى "اندرا" نظرة شريرة على اخيه.

- لقد خانتني لانها خانت ذكرى والدي. كيف يمكنني ان اغفر لها هذا؟

واتجه نظره صوب "مايك":

- معك. ذهبت معك.

قال له "مايك" مصححا كلامه:

- بعد ما توفي والدك وليس قبل ذلك.

- نعم ولكن كان لديها الرغبة فيك فانت شاب ووالدي مسن. إنها ترغب في الشباب. وعند موته جاءت لترتمي بين ذراعيك.وخانت ذكراه . النساء هن النساء.

www.elromancia.com

تفرس "اندرا" في "كاتي" التي ارتعدت بمجرد أن رات الجنون في عينيه. نعم الجنون وحب الإيذاء.

كان "ريكي" يتالم دائما بين ساقي الشخص الذي اخبره انه والده. ولكنه كف عن البكاء كما لو كان هذا في صالحه. رفع عينيه نحو "اندرا". كم كان يكره هذا الرجل!

فكرت "كاتي" في نفسها: جنون وسادية. إنه ياخذ "ريكي" رهينة!ولكن "اندرا" اعاد تركيز انتباهه على "مايك".

- هي ايضا خانتني. إنها ملكي، زوجتي. لقد اقنعها برقة متناهية الا تثق بي كثيرا واطاعته - وهي بين ذراعيه - مثل البلهاء. اعرف انك حرضتها على التنازل لصالح "راشيل" و"جابرييل"...

صحح "مايك" بقوة:

- اين كنت يا "اندرا"؟ نعرف جيدا ان المزرعة تخصك اكثر من اي شخص آخر.

- نعم ولكنك لم ترد ان ابقى هنا. كنت تحب دائما ان تراني اهرب إلى آخر العالم او ان تسمع اي شخص يتحدث عني. أليس هذا صحيحا ايها الأب الصغير؟ لست مجنونا كما يقال عني..

ضغطت اصابعه على زناد المسدس. شعر الجميع بانه يخنق حيوانا صغيرا ربما يكون طائرا وكم كان بشعا ان يروا هذا !

- تعرف جيدا انني كنت دائما حائلا بينك وبين امي. وإذا لم اكن هناك لكنت قد امتلكتها..

استدار نحو "جابرييل":

- وانت كنت ستمتلك ارضي!

قال "جابرييل" بعنف:

- لم اقتل هؤلاء الناس بدلا منك يا "اندرا". لقد تدبرت امرك بنفسك.

صرخ "اندرا" وهو يرفع عينيه صوب السماء كما لو كان يتحدث إلى مجهول.

- كان ينبغي علي ان افعل هذا! إنها هي التي بحثت عنه. إنها مثل النساء الأخريات، بل أسوأ منهن. لقد قابلتها بالمدينة. تعرف ذلك.. في احد المشارب المفتوحة نهارا وكانت جالسة على المشرب ونظرت إلي..

بات وجه "اندرا" مشينا ومتكتما.

- تعرف أن الطريقة التي تنظر بها المراة إلى الرجل تبدي حقيقة رغبتها في عمل أسوأ الخدع معه. نعم ... كما نظرت إلي...

اذعن "مايك" لكلامه كما لو كان يفهمه جيدا أو كما لو كان قد اعتاد مثل هذه النظرات وينعم بها.

شيء مالان في قلب "اندرا فولار" الدنس.

أدركت "كاتي" مغزى نظرات "جابرييل" وكانها تقول: اجعليه يستمر في حديثه. ساحاول ان اضعفه.

ارادت المراة الشابة ان تحدثه وتقنعه بالا ينتظر وصول الشرطة يبدو ان "اندرا" يستطيع التحدث عدة ساعات، ومن ثم فهو ينتظر وصول امه.

فغالبا لن يقتل اي شخص قبل وصولها. كانت "كاتي" تستعطفه بعينيها.

تجنب "جابرييل" نظراته بعناية، وشد كل عضلاته واستعد للتدخل في اللحظة المناسبة.

www.elromancia.com

يمثل الحزن والمعاناة - اللذان يعبر عنهما وجه "ريكي" الخائف - مشقة كبيرة على "جابرييل". كان بهذه النظرة شيء ما لا يطاق. كان يدرك أن كل دقيقة تمر على الطفل تحفر في ذهنه مشهدا وكلاما ربما يعانيه طوال حياته دون أن يدرك. هذا الجو الخانق والإذلال والعنف والاستسلام ربما يجعله هذا كله يتالم من داخله بشدة. لا يستطيع "جابرييل" أن يحتمل هذه الفكرة.

استمر "اندرا" الهارب من السجن - ولكنه مازال محبوسا في خبايا عقله المريض - في حديثه:

- نعم، لديها هذه النوعية من الرغبات. لقد رجعت إلى المشرب في اليوم التالي ونظرت إلي بنفس الطريقة. جلست معها إلى المنضدة . كنت أعرف ما تريده.

ضغط بقبضته على مقبض السلاح ولكنه اغمض عينيه قليلا كما لو كان قد تناول شرابا او كما لو كانت الذكريات لعبت برأسه. كانت هناك معاناة شديدة لدى "اندرا" في أن يبقي عينيه مفتوحتين فترة أطول. أراد "جابرييل" أن يغتنم هذه الفرصة لحظة غفوته. ارتجف بشدة عندما رأى اخاه يفتح عينيه مرة اخرى ويصوبهما ناحيته كما لو كان قد خمن نياته.

قال "مايك" حينذاك:

- وحينذاك ماذا حدث بينكما؟

ركز "اندرا" انتباهه مرة اخرى على والد "كاتي":

- اوه، اخبرتني انها لا تريدني فقد غيرت رايها. إنهن يفعلن ذلك غالبا. إنك تعرف النساء.

- وقتلتها.

لم يكن هناك أي شكل من أشكال الرأي السديد في جملة "مايك". لم يكن بها سوى الفهم الجاف المماثل لفهم القاضي الذي يدرك الوسيلة والسبب.

- كان ينبغي هذا! تدرك ذلك، أليس كذلك؟ لم يكن لها الحق في الحياة بعد ما فعلت هذا برجل. ربما كانت ستستمر مع رجال آخرين. لماذا تتصرف النساء هكذا؟ لماذا يلعبن بنا هكذا؟

بدت قصة "اندرا" مؤثرة جدا. لقد وقع في حب فتاة المشرب التي لا تسعى إلا إلى أن تجعله يدفع ضعف ما يدفعه . لقد ادت الفتاة دورها ولا شيء غير ذلك.

لم يحالفها الحظ حقيقة في العثور على شخص مثل "اندرا".

قال "مايك":

- "جراس" لم تكن هكذا. تعرف جيدا أنها لا يمكن أن تسيء إلى ذبابة. وهناك كثير من النساء يشبهنها.

- "جراس".... لا

أضاءت ابتسامة مليئة بالحب وجه القاتل. بدا - لحظة - انه مثل الولد الصغير الذي يفكر في والدته.

- إنها لم تفعل ذلك أبدا. أين هي؟ إنها هنا، أليس كذلك؟ أمي؟

لكن لم يوجد أي رد.

- أمي؟ أين أنت؟ هل انت مختفية هنا؟ لماذا؟

اغمض عينيه من جديد ولكن سرعان ما فتحهما. واصل "اندرا" حديثه:

- إنني أحبك، بل أعشقك. وهي أيضا تحبني حتى عندما أصبح لديها أطفال صغار. بعد ذلك قل حبها لي. أريد أن أراها. إنها تفتقدني بشدة.

بدا وجهه متجعدا مثل ورقة الشجرة وبدا يبكي وأرخى ساقيه المتعانقتين ولكنه كان ممسكا دائما بالمسدس في يده جيدا وظلت عيناه السوداوان المليئتان بالدموع المتلألئة مركزتين على "مايك".

أدركت "كاتي" أن "جابرييل" يتأهب لينقض على أخيه وأنه متردد بسبب "ريكي" وخوفا من أن يلحقه أذى أو أن تكون الطلقة الأولى من نصيبه.

بكى "اندرا" تماما حتى إنه أغلق عينيه.

لم تتردد "كاتي" لحظة واحدة. وأشارت بيديها المرتعدتين إلى الطفل. تسلل الطفل من بين ساقي جلاده الذي لم يشدد عليه بقوة. وأسرعت "كاتي" - مثل البرق ودون أن تثير أي ضوضاء حيث كانت قدماها حافيتين - في التقاط الطفل بين ذراعيها حيث كان وزنه مثل وزن الريشة وأخرجته من خلال النافذة الكبيرة.

ثم استدارت بعد ذلك وجلست على كرسيها وفي نفس الوضع الذي كانت تتخذه قبل تحركها. لم يستغرق هذا المشهد بأكمله أكثر من ثلاث ثوان.

قال "ريكي" شاكيا برقة:

- "كاتي" ليست لطيفة كثيرا في هذا المساء!

ردت امرأة في الظلام بصوت مضطرب:

- بلى يا عزيزي. ربما تكون قد أنقذت حياتك. هيا يا حبيبي لا تبك

كثيرا. لقد انتهى الأمر الآن. ليس عليك إلا أن تنام بين ذراعي. ألا تحب أن تنام بين ذراعي أمك؟

لم ينطق "ريكي" بأي كلمة. شعر بالدفء والحنان والحب الحقيقي في صدر جدته. كم عشق أن يتنهد على صدر هذه المرأة الرقيقة التي تحميه وتطمئنه وتهدهده والتي ينبعث منها رائحة مدهشة!

عطس "اندرا" بوحشية. لم ير هذه الثواني الثلاث تمر بسبب حزنه. وعندما فتح عينيه لم يقم أي شخص بأي حركة في الغرفة.

قال متسائلا:

- أين الطفل؟

رد "جابرييل":

- أي طفل؟ لا يوجد هنا أية أطفال.

هز "اندرا" رأسه الثقيل حيث بدا كل شيء أمامه مشوشا:

- لقد أخبرتني "أنيت" بكل شيء.. إنها لم تتغير . دائما كانت متكتمة هذه الصغيرة! إنها صديقتي الصغيرة. عندما أفكر في أنها تجرأت على الزواج برجل آخر..

جفف "اندرا" العرق من على جبهته بظهر يده، ثم بلل شفتيه بطرف لسانه. لابد أن العلاج الشديد الذي يتناوله في المستشفى بدأ يؤثر عليه وربما يجعله يعاني مثل المدمن.

- الجرأة على الزواج بأخي. وكان هناك طفل صغير بين ساقي منذ خمس دقائق. ابني ! يالها من مفاجأة!

وفي اللحظة ذاتها التي لم يوجه فيها "اندرا" المسدس نحو "مايك" ألقى "جابرييل" نفسه على أخيه. كل شيء حدث بسرعة.

www.elromancia.com

منع "جابرييل" الذراع الممسكة بالسلاح من الانثناء. وقبض بشدة على المعصم لدرجة ان "اندرا" لم يستطع ان يطلق الرصاص. ظل الرجلان يتصارعان لحظة قصيرة.

ساد "كاتي" انطباع بانهما يرقصان. لم يستطع "جابرييل" - بسبب المسدس - ان يتراجع او يضرب اخاه، وابدى "اندرا" مقاومة شديدة على الرغم من تعبه.

جذب "جابرييل" بعد مجهود مضن اخاه امام حوض المطبخ على امل ان تفتح يده تحت تاثير الالم وتترك السلاح الذي يهددهم به.

ولكن لم يحدث اي شيء من هذا. فقد استطاع "اندرا" ان ينهض مرة اخرى ويثني ذراعه. لم يكن هناك سوى ضجة مخنوقة. لقد جهز السلاح في صمت.

نزل الرجلان على ركبتيهما في حركة واحدة كما لو كان كل منهما قد التحم بالآخر.

اطلقت "كاتي" صرخة. وسالت الدماء على البلاط الابيض.. وسال المزيد والمزيد منها. كان دما شديد الحمرة ولامعا ولزجا وغزيرا. في نفس اللحظة دخل رجال الشرطة حاملين اسلحتهم.

قال احد رجال الشرطة:

- يبدو ان الجو هنا متعكر ايها الرئيس!

تعجبت "جراس" التي دخلت إلى الغرفة عبر الباب المكسور:

- "مايك"!

القت "جراس" نفسها بين ذراعي "مايك" الذي استقبلها دون اي تمنع.

نهض "جابرييل" ببطء.

كان "اندرا" الآن مسجى على الأرض وهو غارق في حمام دمه وعيناه منقلبتان إلى الخلف وازداد شحوبه عن ذي قبل.

همس "جابرييل":

- ليسامحني الله. لقد قتلت اخي..

اصطدمت ذراعاه المتوترتان باعلى حوض المطبخ. ثبت نفسه عليهما وخفض راسه مثل الرياضي الذي يحاول استعادة نفسه بعد مباراة صعبة.

- أوه، ساعدني يا سيدي! لانني قتلته . قتلت اخي.

حضر المحققون بعد ذلك بعدة ساعات في بداية الصبح إلى قسم الشرطة.

كانت "انيت" موجودة. كان ينبغي ان تمثل امام المحكمة لانها ساعدت "اندرا" على الهروب. ولكن ربما يخف عقابها لانها اخبرت ال "فولار" بالخطر الذي يتهددهم.

لم يغمض لـ"جراس" اي جفن طول الليل. كانت مكتفية بالذهاب إلي الوادي بمفردها والا تعرض حياة "راشيل" و"جرهام" إلى الخطر كما كان من الممكن ان يحدث إذا كانت قد طلبت منهما ان يصطحباها إلى القرية.

سال محقق الشرطة برقة:

- ماذا حدث بعد ذلك؟ بعد ان علمت بهروب ابنك من قبل "انيت"؟

- اتصلت في الحال بـ"مايك" واجابتني "كاتي" .. مع انني لم اعرف انها هي. وبعد ذلك اخذت سيارتي ورحلت . سقطت بعد ذلك في قبر

www.elromancia.com

مفتوح دون ان اقابل اي شخص يعيش بين الشاطئ والقرية.

- ولكن لماذا لم تتصلي بالشرطة يا مدام "فولار" بعد محادثتك الهاتفية لـ"كاتي"؟

- لم يخطر هذا ببالي أيها المحقق! كان هدفي الوحيد هو الوصول إلى هنا باقصى سرعة دون ان اضيع اي ثانية ، ولكنني اعلمتها. كنت اسعى الا يرتكب "اندرا" اي عمل شيطاني آخر. كنت أمل الا تحدث إراقة دماء. اظن انني ساذجة جدا..

وضعت رأسها على كتف "مايك" الذي يحيطها بذراعه ويساندهابقدر المستطاع. سالت دموع غزيرة - برقة - على خدي "جراس".

هناك بالتاكيد جنازة حضرتها الأسرة فقط.

هناك بحث وتحقيق أيضا.

لكن موت "اندرا فولار" القاتل الهارب من السجن والمريض عقليا لم يثر اي غموض حيث عثر على بصماته موجودة على المسدس.

واعتبرت الشرطة "جابرييل" في حالة دفاع عن نفسه، ومن ثم اعتبر قتل "اندرا" غير مقصود وتم إغلاق ملف القضية نهائيا.

* * *

لم ينطق "جابرييل" باي كلمة إلى أحد في الأيام التالية للحادثة وبدا كانه يحمل هموم الدنيا كلها على كتفيه.

قالت "جراس" لـ"كاتي" ناصحة :

- ينبغي أن نتركه يعيش هذه التجربة بمفرده.

قالت المراة الشابة شاكية:

- أعلم هذا. إنه لا يرد علي عندما أحدثه.

قالت "جراس" معترفة وهي شديدة الحزن:

- إنه يهرب مني انا ايضا، ولم اسمع صوته ابدا منذ تشييع الجنازة. لقد حدث نفس الشيء في اعقاب وفاة والده. الشيء الوحيد الذي ينبغي ان تفعليه هو ان تكوني موجودة إلى جواره حتى اللحظة التي يحتاجك فيها.

لكن يبدو أن "جابرييل" لا يحتاج إليها. لقد اهتم بالمزرعة ورعى الماشية مع رجاله. كان هذا الأسبوع مخصصا لعمل مخزون للشتاء القادم.

إنه لم يهمل "ريكي" ولكن الطفل فضل ان يقضي اوقاته مع "كاتي" وجدته بدلا من ان يقضيها معه.

قال الطفل شاكيا:

- والدي ليس مازحا الآن. لم أعد امزح معه كثيرا.

جرى الطفل - وهو يضحك - ناحية جدته التي تواسيه بإعطائه الحلوى اللذيذة والشوكولاتة.

أحاطته "كاتي" بعطفها وحبها. وبدا أن "ريكي" قد نسي تماما المشهد البشع لدى عودة "اندرا".

كانت "جراس" عروسا محظوظة. سطعت الشمس عندما تلقت مع "مايك" المباركة على الزفاف في فناء المزرعة حيث ربت أسرتها. كانت نهاية شهر مايو. وقد فاح أريج الورود التي تغطي أوجه المنزل.

منذ وصولها إلى هذا المنزل كانت "جراس" تغرس شجرة او شجرتين في كل سنة. وقد أعطى حاصل عنايتها الفائقة - بهذا المنزل اكثر من ثلاثين سنة تحت الشمس الساطعة - انطباعا بانه جنة على الأرض أو

www.elromancia.com

جنة عدن.

كانت "راشيل" واقفة بالقرب من أمها و"جابرييل" الذي كان ودودا في اثناء الحفلة الصغيرة الي تلت الزفاف، وكانت "كاتي" سعيدة جدا لرؤيته يضحك مع "ريكي" عندما غادر العروسان المكان تحت وابل من الأرز المعطر.

بمجرد أن رحل المدعوون تبادلت "راشيل" و"كاتي" العائدتان إلى صداقتهما الحميمة أطراف الحديث. مد بعض المعارف الذين تاخروا أيديهم في أطباق الحلوى وكذلك "جابرييل" و"جرهام".

عندما سالت عيون "راشيل" و"كاتي" بالدموع عند لحظة الوداع وضع "جرهام" طفليه الصغيرين في مؤخرة السيارة وبينهما "ريكي" ثم انتظر أن تلحقه زوجته.

قالت "راشيل" متعجبة من خلال النافذة المنخفضة بينما كانت السيارة تنطلق:

- إلى اللقاء، إلى اللقاء! تعالي مع "جابرييل" عندما يأتي لرؤية "ريكي" في عطلة نهاية الأسبوع القادمة. يمكنك أن تقيمي معنا عدة أيام. نحن نقيم على شاطئ البحر. كما أن الجو حار - مع ذلك - عن هنا! إلى اللقاء!

قالت "كاتي" والدموع في عينيها وهي سعيدة للعثور مرة أخرى على صديقة عزيزة جدا عليها كانت قد فقدتها منذ فترة طويلة:

- إلى اللقاء!

فجاة ضغط "جرهام" دواسة البنزين واختفت السيارة بسرعة في الطريق المتلألئ بفضل الشمس الساطعة.

وجدت "كاتي" و"جابرييل" نفسيهما بمفردهما.

قال "جابرييل":

- أوه، انتهى الأمر.

- كانت حفلة زواج رائعة. أليس كذلك؟

- بلى.

أطلق "جابرييل" تنهيدة طويلة جعلته يشعر بالتحسن. وأخيرا استدار نحو "كاتي" ليمنحها ابتسامة مدهشة.

- "كاتي".. أتاتين معي للقيام بنزهة على حصان؟

وتشابكت أصابعهما.

- بالتاكيد. أين تريد أن نذهب؟ إلى المرتفعات؟ أو في اتجاه المناطق الثلجية؟

- إلى المغامرة يا عزيزتي.

سار الاثنان بهدوء بين الحقول. لم تدرك "كاتي" إلا بعد ساعة تقريبا إلى أين يصطحبها "جابرييل". لم تتغير البحيرة الصغيرة البنفسجية المشوبة باللون الفضي منذ خمسة عشر عاما. إنها دائما محاطة بالأشجار والزهور متعددة الألوان. ونما على ضفتيها عشب طويل وناعم الملمس. جلس الاثنان هناك أمام الشمس وظهراهما مستندان إلى شجرة. ظل الاثنان يستمتعان فترة طويلة بسكون الجبل ثم امسك "جابرييل" يد "كاتي" في يده، وقال لها:

- شكرا.

- على ماذا؟

- لكونك صبورا، لأنك تركت لي متسعا من الوقت. أمل ألا تكوني قد

www.elromancia.com

تصورت انني لا اريدك او انني احبك قليلا.. او اي شيء من هذا.. لا اعرف ماذا.

- اطمئن، لم اتصور اي شيء من هذا كله. كنت ارى انك تعاني. كنت احب فقط ان افعل لك اي شيء.

- لا اعتقد ان هناك اي طريقة لمساعدة رجل قتل اخاه.

واسته "كاتي" بصوت واثق:

- تعرف جيدا انها مجرد حادثة يا عزيزي.

- حقيقة؟ افكر في هذا معظم الوقت، ولكن عندما يسدل الليل استاره لا اكون متاكدا منه.

- كنت تحاول ان تنزع منه السلاح حتى لا يرتكب جريمة اخرى. وانطلقت الرصاصة وحدها. ربما كنت ترقد مكان "اندرا" إذا لم يتجه المسدس ناحيته.

ارتجفت "كاتي" حينذاك، واقتربت من "جابرييل" تماما وهي تدرك بفزع شديد ان وجوده على قيد الحياة لا يضاهيه اي شيء آخر.

قال "جابرييل" مصرا:

- ولكنه لم يهددني عندما وثبت عليه. لم اكن في حالة دفاع عن النفس.

- بل كنت ! كان سيطلق الرصاص على "مايك"، ثم يقتلنا نحن الاثنين بعد ذلك كما قتل زوج او صديق هذه المراة المسكينة. كان ينبغي ان يتصرف اي واحد منا قبل ان يكون الوقت قد تاخر. لست مسؤولا عن...

قاطعها "جابرييل" بقسوة:

- "كاتي"، انا ايضا مسؤول عن موت هذين الزوجين منذ اربعة اعوام..

تراجعت المراة الشابة إلى الوراء تحت تاثير الصدمة. وجثت على ركبتيها بالقرب من "جابرييل" واتسعت عيناها من فرط الدهشة.

- ليس معقولا! ماذا تريد ان تقول؟ لم تكن هنا لحظة وقوع الجريمة يا "جابرييل".

- "كاتي"، لقد رويت لك جزءا من احلامي، جزءا من كوابيسي، ولكن لم اخبرك بعد بالحقيقة. كنت اعرف ان "اندرا" قاتل لقد بدا يقتل قبل جريمة الزوجين. والدي كان ضحيته الأولى. كنت اعرف ذلك يا "كاتي" ولم اخبر اي شخص بذلك. ولو فعلت ذلك لما حدث شيء مما قد حدث.

- اوه يا عزيزي ! كلا!

القت "كاتي" بنفسها بين ذراعيه، وقالت تدلل على كلامها :

- لم يكن عمرك يتجاوز الحادية عشرة عندما مات والدك. لابد انك اخطات يا "جابرييل". لقد داس الجرار والدك. لم يفعل "اندرا" هذا ابدا. الم تر كيف دافع عن نفسه مساء ليلة البارحة؟ وكيف كان يتكلم عن شرفه! وكيف ظهر الحب والاحترام من خلال كلامه البغيض الذي نطق به؟ إنه لم يستطع ان يقتل "مات".

- الاشخاص الذين يشبهون "اندرا" قادرون على فعل اي شيء. قادرون على قتل اي شخص من اجل مصلحة او بسبب ساديتهم ثم يقتلون انفسهم بالكلام من اجل شرف الضحية. إنه سلوك شخص مجنون وثائر.

- ربما ولكن "اندرا" كان يحب اباه لا يمكنه ان يقتله.

www.elromancia.com

- كنت خائفا تماما حتى إنني لم أقل أي شيء. كنت متأكدا أنه سيقتل أمي و"راشيل" إذا أبلغت الشرطة. كما أن الشرطة لم تكن لتصدق روايتي. "أندرا"! كان دائما يرهبني.

- هذا طبيعي. لقد كان يؤذيك دائما بالقول والفعل. ولكنني أعيدها إلى مسامعك يا "جابرييل" لقد أخطأت بشأن موضوع أبيك. "أندرا" لم يقتله. إنني مقتنعة بذلك من داخلي.

- حسنا، لست أنا يا "كاتي". هذا يعتبر السبب الذي جعلني أرغب في مغادرة الوادي بأقصى سرعة، فضلا عن المعاملة السيئة من هذا الأخ السيئ. لقد حاولت أن أعتاد هذه الطريقة. ولكن لم أستطع، وفي ذات الوقت احتفظت بهذه الأشياء لنفسي حتى هذا المساء..

قالت "كاتي" مكررة:

- حتى هذا المساء. هذه الأشياء على وشك أن تتوارى مع كل هذه الذكريات البغيضة.

وجد "جابرييل" القوة بداخله لينظر في عيني "كاتي". همس قائلا بإعجاب هادئ:

- لقد عرفتك دائما صريحة وشفافة، ولا تكذبين أبدا. لا تخفين الحقيقة أبدا. كان هذا واضحا منذ أن رجعت. لقد صرحت لي بحبك. قلت: إنه أنا الذي ترغبينه وليس أي شخص آخر في العالم. لقد أسررت إلي أنك تودين إنجاب أطفال مني. لم تخفي ما يدور بداخل قلبك. إذن كيف يمكنني أن أطلب منك أن تقتسمي الحياة مع رجل جبان يخفي حقيقة موت والده؟

- أو رجل لا يقول الحقيقة أبدا لأنه لا يوجد من يصدقه ولكي يجنب

- بصفة خاصة - أمه وأخته التجربة القاسية ولا سيما أنهما جرحتا لفقدان زوج وأب. فكر في كل هذا جيدا يا "جابرييل". فكر فيما وفرته عليهما باعترافك أن رواية القتل صحيحة. لم يكن عمرك قد تجاوز الحادية عشرة بعد وحملت على كتفيك كل هذا العبء الثقيل بمفردك. فكر في هذا الغلام بمزيد من العطف، وحاول أن تحبه قليلا ويكفي هذا لأنني أحبه كثيرا. وعندما ترى هذا كله من المنظور الصحيح ففكر - لحظة - في أن هذا الغلام الصغير ربما أخطأ. لكن ما السبب الذي جعل "أندرا" يقتل والده؟

- كنت أجهله في وقتها ولكن عندما أمسكت مقاليد الأمور هنا استطلعت الكتب التي كان والدي يحتفظ بها في خزانة آمنة. وياللدهشتي الكبرى عندما اكتشفت أنه كان يكتب يومياته ! أراد في لحظة موته أن يقلل من أنشطة المزرعة ويستمر في تربية الماشية من أجل محل الجزارة لأن أرباحها في تناقص مستمر. لم يكن "أندرا" موافقا على هذا، بل إنه أراد على العكس أن يوسع أنشطة المزرعة في إنتاج الألبان ويغلق محل الجزارة لأنه لا يدر أرباحا مادية طيبة. لقد أراد أن يعدل استخدام الأراضي تماما. وبالمناسبة لقد تمنى - بكل قوته - أن يأخذ مكان "مات" ويصبح المالك الوحيد. كل هذا وجدته مكتوبا في يوميات والدي. لقد عارض ابنه بشدة بشأن هذه النقاط قبل موته ببعض الوقت...

تنهدت المرأة الشابة:

- أفهم هذا.

أدركت "كاتي" فجأة أنه ربما يكون لدى "جابرييل" الحق بشأن

www.elromancia.com

الطريقة التي فسر بها الاعيب "اندرا" التي فعلها بالجرار. يبدو هذا الافتراض محتملا بشكل مخيف عندما يكون القاتل هو "اندرا".

- ينبغي الا تلوم نفسك يا "جابرييل". ليس لك اي ذنب فيما قد حدث.

- لكنني كنت شريكا معه دون ان اعرف.

- لم تكن إلا غلاما صغيرا!

- لقد رايته يقوم بإصلاحات في الجرار في الأيام السابقة لموت والدي. كنت اعرف انه يدبر شيئا ما. لو كنت قد تكلمت فربما تمكنت من إيقاف كل شيء في حينه.

اعترضت "كاتي" بهدوء:

- ولكن ربما لم يصدقك احد حينذاك.

داعب "جابرييل" خدها برقة وعطف:

- انت ، إنك تصدقينني لانك كنت تخافين منه ايضا..

جذبها "جابرييل" نحوه ثم واصل حديثه:

- لن انسى ابدا ما بدا في نظراتك عندما انقض "اندرا" على "ريكي". لقد حدث هذا كما لو كان يهدد طفلك.

- هذا ما حدث بالفعل إلى حد ما.. لقد حاول أن يؤذي طفلك.

لأول مرة منذ اسابيع اضاءت ابتسامة وجه "جابرييل" على الرغم من أن التوتر والتعب مازالا باديين عليه.

اكد "جابرييل" بصوت هادئ:

- الا يوجد - حقيقة - اي استياء منك ناحيتي بالرغم من كل هذه الأشياء المهولة.

أومات "كاتي" بحركة من راسها .

- إذا كان التحقيق قد اثبت انني قتلته وعرفت ما اطلعتك عليه الآن بشان موت أبي وكيف عشت هذه التجربة فهل كنت ستتواجدين معي في هذا المساء على الرغم من كل هذا؟

- نعم، اقسم لك. إن كل ما رويته لي ماض وانتهى بالنسبة لي. وانت ايضا ينبغي عليك ان تنساه.

- نعم، أستطيع ذلك بفضلك، وإلى جوارك عرفت هذا الآن.

رفرفت الطمانينة الآن على الجو المحيط بهما. بدا وجه "جابرييل" يشرق بالحب الذي احتفظ به حتى الآن بداخله كما لو كان موجودا في سجن، وتلاشت الشكوك. اقتربت "كاتي" منه وقالت وهي تبتسم وإشراقة رائعة بادية على وجهها:

- إنها رحلة جديدة يا قبطان!

- رحلة مدى الحياة .

- إنني أرى الأمور جيدا من هذا المنظور ولكن اللعبة بين يديك يا عزيزتي!

غير منظر غروب الشمس المدهش الذي يحيط بهما كل شيء: البحيرة والجبال والوان الزهور والسماء.

همس "جابرييل" بصوت رسمي ضاحك:

- قبلت الزواج بك. أوه يا "كاتي"، لنتزوج باقصى سرعة مازالت الحياة امامنا لنعيش هنا مع هذه النجوم .

- يا حبيبي...

تلا هذه الكلمة عناق حار وطويل لابد انه اسعد كل مخلوقات الليل

www.elromancia.com

العجيبة، لأن النجوم لا تلمع فقط في سماء هذا الليل ولكنها تلمع أيضا في عيون الزائرين المعروفين اللذين قد شعر قلباهما بالدفء بعد عودتهما السعيدة.

تمت

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة